

روايات رومانسية عالمية  
عبير



فيوليت وينسبير

# العروس والأسييرة



مكتبة البيان

GEGL86

# روايات رومانسية عالمية عبير

## العروس الأسيرة

دائها يرتبط الحب بالجمال ، دائها يكون العاشق شبيها  
بادونيس والعاشقة شقيقة عشتار . الا ان هذه القاعدة ، كما  
قاعدة لها شواذها ، وراقينا التي احبت رولري الجميل ما لبثت  
ان وجدت نفسها حيال رجل محروق الوجه واليدين ، يطارده  
ماضيه كالظل ، وفي ارجاء قصره المتبع في سردينيا وقعت اسيرة  
ذلك الماضي وتلك «الحروق» ... فهل تبقى هناك وهل يطل الوره  
من غابة الشوك ؟

مكتبة زهران

١٥ ش الشيخ محمد عها

خلف الجامع الأزهر

ت ٠١٢٣٧٨٦٤١٨٠

GEGE86

## ١ - مفاجأة في العرس

وضع العريس يده فوق العروس وراحت اليدين تقطعان كعكة الزفاف بين  
حبات التهتهة ، ورنين الكؤوس ، وجاجة ضحكات المدعويين .  
سأل أحدهم العريس :

« حقا ما يتردد في وطنكم بأن الرجال يصغفون العروس في يوم زفافها  
حتى تعرف من هو السيد ؟ » .  
ابتسم مارك دي كورزيو وقال :

« أنت تتكلم عن أهالي صقلية أما أنا فأحد أبناء سردينيا » .  
وبينما كان مارك يجيب على أسئلة تدور كلها حول سردينيا ، ناول أحد  
المدعويين العروس ظرفا صغيرا أصفر اللون وقال لها : « هذه الرسالة وصلت  
لنوها يا رافينا ، أتوقع أن تحمل في طياتها حقا سعيدا لك » .

وشاب ابتسامتها شيء من التوتر عندما قضت الرسالة وراحت تقرأ فحواها  
عندئذ ألقت نظرة سريعة على مارك وفي لمح البصر دستها في أحد قفازيها  
الحريريين ، وغمر الشحوب وجهها حتى بدت عيناها بلون الجواهر الخضراء  
وأخيرا حان وقت الصعود الى الطابق العلوي لارتداء ملابس رحلة شهر  
العسل ، اعتذرت من إحدى صديقاتها التي تقدمت تبغى مساعدتها في تغيير  
ملابسها وقالت لها :

« أنا .. أنا .. أريد أن أنفرد بنفسى » .  
أسرعت تتخلص من ثوب الزفاف الذهبي الشاحب ، والشفال المزين بشرائط  
من شرائط ويلز . لم يستغرق التغيير وقتا طويلا ، وعندما ارتدت ملابس  
الخروج وقفت امام نافذة غرفتها وتأملت شجرة الدردار التي ارتفعت وسط  
الحديقة ، وحملها الحنين الى الماضي قرأت رودري وهو يتسلق الشجرة ويقبع  
بين أغصانها وكان يوما ما يبدو لها فارس أحلامها المغوار ، وفي يوم آخر  
يتلبسه الشيطان ويأخذ في مشاكتها . هكذا ثبت هي ورودري سويا في  
ذلك البيت على حدود ويلز . كان الابن الوحيد للكونونيل كاروت برينين

(١) الوصي عليها لعدة سنوات ، وكثيرا ما كانت تعتبره في منزلة والدها ، وتكن له أعظم الحب ومنذ ثمانية عشر شهرا استقال رودري من الجيش ، ورحل إلى يوسوت ويلز في أستراليا ليستغل بالزراعة هناك .

وكانت ضربة قاسية نزلت على رأس جاردى الذى يعتبر كثيرا بالشهرة التى أحرزها فى الخدمة العسكرية ولم تدنس رافينا مما أقدم عليه رودري الذى يعتبر سليل أسرة عسكرية وعريقة بوابك تاريخها تاريخ مقاطعة ويلز ، وكان لزاما على رودري أن ينخرط مثل أبيه فى السلك العسكري وكانت رافينا تعرف أن رودري بريتين يتنازع دائما القلق المسيطر على حياته تماما .

فبعدها تسلم وظيفته ، اختار أن يقوم بمهمة خاصة فى قبرص ، وكانت كبرياء جاردى لا تعرف الحدود ، اذ غضب عندما عرف أن أبيه سوف يمضي إجازته فى الخارج ولم يكذب يرحل رودري إلى قبرص حتى ترك الخدمة العسكرية . راحت رافينا تتخدد عبر نافذة غرفة نومها ، ويدونها عاد تسمع مرة أخرى وقع حوافر حصان على الحصى الذى يكسو ساحة الحديقة ، وذكرها الواقع بيوم كانت تقف فى المكتبة حين سمعت وقع حوافر أعقبه وقع خطوات حذاء تعبر الشرفة التى تقع امام نافذة المكتبة ، وتذكرت نوبة الفزع التى تمثلها عندما رأت قوام مارك ديكرزويو يعمم زجاج النوافذ . حذق كل منهما فى الآخر عبر الزجاج ، ثم دلف إلى المكتبة بلا دعوة وقال لها :  
« مساء الخير يا أنسة بريتين » .

وعندما انحنى لها لإنحناء قصيرة أحسّت بالثوب الذى كانت تشعر به كلما قدم لتناول طعام الغداء فى رافنهول .

كان شريكا فى الأعمال التى يمارسها جاردى ، ولكن هذه كانت المرة الاولى التى التقي فيها على إفراد ، كان يعيش فى الخارج بمنأى عن الجميع ، ويعتبر أكبر سنا من جميع أصدقائها ، وتكثف هالة من الغموض .

كان معتدل القامة ومع ذلك يوحى بأنه شخص طبع عندما يهل عليها ، وكانت أسنانها تكرر على شفتها السفلى بقسوة كلما وقع بصرها على الجانب الأيسر من وجهه الذى لفحه سمير النار ، وكانت تغض بصرها عنه بسرعة وكأنها ترى فى وجهه صورة الشيطان وقد اقترنت بها صورة الملاك .

قال لها وهو يضبط على مخارج الكلمات :

« أرجو أن تكوني متحمته بمهمة جيدة يا رافينا » .

« أحسنى ألا يكون باستطاعتك لقاء جاردى ، فهو موجود الآن بالخارج » .  
قال : « ما جئت إلا لرؤيتك » .

نزلت كلماته كالصدمة المفاجئة وتفحصت وجهه المتعالى الذى يوحى بأنه كان ذات يوم يتسم بالوامة ، أما الآن فتبدو الصرامة القاسية فى ملامحه واستطرد يقول : « جئت عن قصد فى هذه الساعة لأننى أعرف أن وصيك سوف يكون خارج المنزل ، فى هذا الأصيل يمارس لعبة البولنغ مع صديقه القديم فى الجيش اويون ، فيروز الكس كذلك ؟ » .

« إيتي لا أكاد أعرفك يا سيور دي كورزويو ! ولا أظن أن هناك شيئا يمكننا أن نتبادل الحديث عنه » .

وواجهته بنظرات مستقيمة كاستقامة شعرها الأحمر الداكن ، وثابتة كيثبات عبيها الحضارين . قال وعلى شفتيه ابتسامة ملتوية :

« متصرفيتي جيلا خلال لحظات » .

وأشار إلى مقعدين عميقين فوقهما وسادتان صغيرتان من الجلد ، وقال :  
« من فضلك دعينا نجلس ، وإلا ظننت أنك تودين الفرار مني » .

وتوترت أعصابها وكان يحذوها حافظ قوى بدعوها أن تطلب منه مغادرة رافنهول فى الحال ، ولكنه إذ التقى بصره بعينيها ، أحسّت أنه يقرأ أفكارها ، فقالت له بحزم : « أستطيع أن أنتحك خمس دقائق ، إيتي أعد الطعام وجاردى يحب أن يتناول عشاءه فى موعده » .

« من فضلك اجلسي يا سيئوريتا » .

امتثلت لطلبه وجلس هو بدوره ، وتقاطعت ساقاه وسقط الضوء على حذائه الجلدى اللامع ، وكان سرواله وسترته من قماش التويد ، وبذل مظهرهما على حسن حياكتهما ولم يحمل معه سوطا مما يدل دلالة كافية على أنه يثن بنفسه فى قيادة الخيول ، والناس أيضا بلا سوط . وسألها :

« هل تسمحين لي بالتدخين ؟ » .

فأومأت بالإيجاب وراقبت وهو يخرج سيكارا رفيعا وقصيرا من علبة جلدية ، أشعله بعود نقاب وكاد اللهب يقترب من أنامله قبل أن يلقى بالعود إلى المدفأة التى كانت خاوية لأن فصل الصيف بدأ يزحف تدريجيا ويغزو الطقس البريطانى .

« أشعر دائما بالبرد عندما أجيء إلى انكلترا ، فالشمس تشرق نادرا ،

نسبة إليها في بلدي .

« حقا يا ستور ! » .

ونظرت إليه بأدب دون أن تحدها أدنى رغبة في أن تسأله من أين أتى ، وكانت تمنى أن يقضي بها لديه ثم يرحل ، فقد أرعجها قدمه . وقطع عليها وحدها ، وتمت أن يرحل بأسرع ما يمكن .

قال : « مهلا يا ستورينا ، وتساكني زمام أمرك ، وسألكي نفسك لماذا قطعت عليك خلوتك في عقر دارك ؟ » .

قالت بصوت بارد : « نحن غريبان وليس بيتنا شيء مهم ولكن يبدو لي أنك تريد أن أصغي إليك » .

قال : « جئت أروي لك حكاية يا أنسة بريتين » .

« أنا منصتة لك يا ستور من فضلك إبدأ قصتك » .

« أنا أرمل ، زوجتي الصغيرة دوناتا ماتت بعدما ولدت ابنا ، فكرست كل حبي لابني الصغير دريسى . كان طفلا نشيطا ، محبا ، حنوناً ومنذ ثمانية عشر شهرا دهم سائق مخمور سيارتي حيث كان ينام دريسى في المقعد الخلفى لى ، وولى هاربا وترك سيارتي مقلوبة على ظهرها والنيران مشتعلة فيها » . وضمت رافينا يدها على خدها ، وكأنها تتلقى صدمة عندما وقع بصورها على النديبة التي خلفتها النار على وجه مارك ، وواصل حديثه بخشونة : « وقعت أنا وابني في شرك داخل السيارة وبذلت جهودا مجنونة لكي أحطم النوافذ لأحمل ابني بعيدا عنها ولكن .. يا إلهي لم ان الجرم توقف وساعدني لكان في وسع ابني ان يعيش حتى اليوم » .

ولم تستطع رافينا أن تتحمل التفكير في أن الطفل يموت بهذه الطريقة فقالت : « آوه ... لا ! » . واستطرد مارك يقول :

« انفجر خزان البنزين وتطاير جسدى وهو يبحر لي سقط في حقل مجاور ، فأسرع العمال لإطفاء النيران ، كانوا يعملون على مبعدة ، ولم يكن فى وسعهم الوصول الى العربة قبل انفجارها . كان السائق الطائش وحده هو الذى يستطيع أن يقدم لنا المساعدة ، وأمضيت عدة أشهر في المستشفى بعدها رحت أقتفي أثر الرجل ، وعن طريق الكراج الذى أجرى الإصلاحات لسيارته عرفت ان اسمه رودري بريتين ، الضابط فى الجيش البريطانى والموفد فى مهمة

خاصة الى قبرص » .

وتأملت عينا مارك دي كورزيو بتأنيب مرير عندما استقرتا على وجه رافينا ، ثم كساهما يياض أشاع الشلل فى شفتيهما .

قال : « ابن وصيك ، نسب فى موت ابني » .

وكانت كلماته تملأ الغرفة ويشوبها الألم والغضب ، ثم استطرد يقول :

« دريسى كان فى الرابعة من عمره ، وهو آخر هدية حب قدمتها لزوجتي لى . ابني كان ورثي فى أرضي ، وعقاري ، وكان سيحمل اسمي من بعدي ، وموضع الشرف من أهالي سردينيا لعدة سنوات . إن كلمة الشرف لها معناها لدى أهالي الجزيرة ، واعتقد أيضا أنها تعني شيئا لرجال من أمثال كولونيل كاروت بريتين » .

صاحت قائلة :

« جاردي ؟ أنت تقصد أن تخبره بأن رودري كان مخمورا وهو يفقد سيارته وأنه نسب فى الاصطدام بسيارتك ؟ لا تستطيع أن تفعل ذلك ! » .

ونفضت واقفة على قدميهما ، ثم أردفت قائلة :

« سوف تقتله ! » .

ونفض مارك واقفا بدوره وقال :

« من تقاليد بلدي ، أن أسرة الأئم لا بد أن تدفع عوضا عن الحزى والعار ونمنا عن الأضرار التي لحقت بالجنى عليه ، إننا نؤمن بأن أسرة الرجل الذى اقترف خطأ عليها أن تتلقى اللوم بصورة ما » .

قالت : « ولكننا نعيش فى انكلترا » .

لم تكن رافينا تؤمن بأن أى رجل مهما أودى فى قلبه او جسده يمكن أن يوجه اللوم الى جندى عجزو قديم بسبب خطأ ارتكبه ابنه . وأردفت تقول :

« إننا ... إننا نحاول أن نغفر .. يا ستور . إننا لا نسأل أحدا أن يدفع ثمننا لخطأ ارتكبه » .

« أنا من سردينيا ، وقد مكثت ثمانية عشر شهرا أسأل نفسي ، ما هو الثمن الذى يمكن لأحد أفراد أسرة هذا الممثل أن يدفعه ، واليوم وجدت الجواب على سؤالي » .

« أنت تهدف الى إيذاء جاردي » .

« ليس هذا ضروريا يا أنسة بريتين » .

« ولكك أشرت .. » .

وحدثت في الرجل وتعلقت بالامل ، لكنها اصطدمت بنظراته العنيدة السوداء ، إذ أنه من سلالة رجال يتصفون بالكبرياء والمأقفة والجسارة .

قال مارك دي كورزيو عن عمه :

« جاردى في غنى عن معرفة أن ابنه شخص جبان » .

« كيف .. ؟ » .

ودقت الساعة لتعلن عن سكون معذب ، وهى تنتظر منه أن يواصل حديثه ، ولكنه كان هادئا بما دفعها الى ان تراه فى صورة النمر المتحفر للانقضاض على فريسته . كان الصمت الذى ران عليها يحمل فى طياته إنذارا بالهجوم .

قال يهدوه : « سوف تزوجين منى ، وستهيين لى ولدا ، بدلا من الولد الذى فقدته » .

ولم تصدق رافينا أدبائها ، واتفقت لسانها فلم تتكلم ، ولكن الكلمات تدفقت فجأة :

« لا يمكن ان تكون جادا » .

« لم أكن أكثر جلية كما هو الحال فى هذه المرة » .

« هذا جنون ! لا أستطيع الزواج منك » .

قال وابسامة ملتوية ترسم على شفثيه :

« أنت تظنين أنك لا تستطيعين الزواج منى ، إن الحب وحده سوف يجبرك على الاقتربان بي » .

قالت متسائلة : « الحب ؟ » .

وشعرت بتبار بارد يسرى فى جسمها وعندما تحركت كانت تنشده الهروب من نظرتها ، ومن نديته ، ومن عينييه وحاجبيه السوداوين ، ولكنه تقدم نحوها يعترض طريقها ، ويحت وطأة الخوف استخدمت سلاح الاحتقار وهى تقول له :

« هل تتصور أنني أستطيع أن أحبك ؟ » .

قال ساخرا : « لا .. إن خيالى ليس بهذه القوة ، ولكنك تحبين جاردى و

لن تغيبى لإنهاء أو أن تكونى سببا فى حرمانه من الحب الذى يكره لانه » .

« أنت قاس بل ستبور دي كورزيو » .

« لم اعتد ان أكون قاسيا يا ستينورينا ولكن رجلا اسمه رودري برينين

جعلنى أكون قاسيا » .

وحدثت عيناها السوداوان فى عينيها ، تشع منهما القسوة ، وعدم الرحمة وحديثها قلبها بأن يث برينين سيدفع الثمن لقاء الطريقة الاليمة التى فقد بها مارك ابنه الصغير . حاولت رافينا ان تتحدث اليه بتعقل مع ان نبضات قلبها كانت مضطربة فقامت له :

« ما الذى تجنيه منى يا ستينور لو انك تزوجت امرأة لا تحبك ؟ وماذا يحدث لو أننى أخبرتك بأننى أحب رجلا آخر ؟ » .

« هل تحبين رجلا آخر ؟ » .

قالت بتعجب : « أن أحب رجلا آخر ، هذا شأنى » .

ونفخ زباد سيكاره فى المدفأة وقال : « على العكس ، باعتبارك زوجتى ، من واجبك أن تسمى هذا الرجل الآخر » .

« هل تعنى أنك تجبرينى على الزواج منك ؟ » .

وأجست فجأة بالاضطراب ، والغيرة ، ولم تستطع أن تخفى شعورها فيدا جليا فى نظراتها الخضراء .

قال مارك :

« خلال الأسابيع القليلة الماضية عرفت شيئا عنك يا أنسة برينين ، وخاصة عن مدى حبك الشديد للكونوئيل جاردى الذى يعد أبيا بالنسبة اليك ، والحب يعتبر شيئا جميلا أقدره فى المرأة ، خاصة أنتى من أهالى سردينيا ، ولكننى أفضل أن يضل الولاء مكان الحب » .

فصاحت قائلة :

« جئت وأنت مستعد لأن تطأ بقدمك عتق أحدهم ، وإنه حان الوقت لأخضع لك لأنك تعرف أن جاردى تعرض لنوبة قلبية منذ فترة قصيرة وأن نوبة أخرى قد تودى بحياته » .

« بل تبين لى أن وصيك يعتبر شخصية جذابة ، وصريحة ، ولبية فى الحديث ، وسيكون من الأكرم أن يبدد مشاعر أبوته على ابن لا يتمتع بالجاذبية » .

أجست رافينا أنها تنزع الشفقة من قلبها نحو صاحب الوجه المشوه ، فى الوقت الذى تشعر فيه بالألم نحو الطفل الذى مات فى الحريق .

قالت : « إنك تزيد الموقف مرارة » .



« هكذا ينبغي أحلامنا. فمن المؤسف أن أحطم أحلامك لابني فوقها أحلامي. »

وضاقت جفونه وهو يتطلع إليها، وتوترت بشرته السوداء فوق فكبه وهو يستطرد قائلا: « ستكون هناك تعويضات .. يا رافينا. »

شمرت أصابع صارمة تطبق حول راسها، ففتحت عينيها لتجد مارك دي كورزويو قد اقترب منها، وشمرت بالكأبة عندما التقى بصورها بعينيها، وأجملت من تديته، ورأت النيران تتصاعد من خيائيمه والريشة الشديدة تراقص على فمه، وكانت رافينا قد عاشت حياتها لا تشعر بأي خوف، تتمتع بالمرادغة التي تسحر بعضهم وتشتت الاضطراب عند البعض الآخر، ولكنها الآن تقع تحت رحمة حيها لوصيها جاردي، وهي عزلاء من أي سلاح.

قال: « سأطلب من الكولونيل برينين الموافقة على زواجي منك، وأنت بدورك تزعمين أنك ترغبين في هذا الزواج كما أرغب فيه أنا. »  
وأخفى رأسه وقبل يدها الباردة المضطربة، وأحست بأطرافها تجمدت عندما سمعته يتشم:

« أنت ترهدين سراويل تشبه سراويل صبي، ويجب أن تفهمي أنني أريدك امرأة. »

وتحول عنها، وتناول وردة من الزهرة الموضوعة على المنضدة وثبتها في عروة سترته وقال لها:

« أراك مثل الزهور، وفي سردينيا تنمو الزهور فوق التلال قبل أن نشد حرارة الشمس، ويبقى يقع فوق روبة كبيرة من الصخر على ميملة من البحر »  
« هل تحبين البحر يا سيبورينا ؟ »

أجابته بحركة آلية: « عشت هنا معظم حياتي، أحب القرية التي تحيط براقشول، أنني انتمى إليها. »

« أه، ولكن عندما تزوج امرأة فاتها توقع أن تترك روادها بيتها لتنضم إلى زوجها، أما بالنسبة إلى الرجل الآخر الذي تحدثت عنه فهل يعيش في هذه الناحية ؟ »

قالت مغمضة العينين: « أجل، لا تتوقع مني أن أتخطى عن كل ما أحب، أرجوك يا سيبور. »

وعندئذ تطلعت إليه، ورأت أنه لن يتأثر بكلامها ولم يكن من طيبتها

التلال والتوسل فابتلعت توسلها وتعلقت بكبرياتها وقالت:  
« اذا جبرتنى على أن أفعل ذلك فأنتي أعليك بأن أكرهك بكل قطرة من الدم السلي (٢) الذي يجري في عروقي. »

قال مبسما: « وأنا أيضا يجري في عروقي دم سلتى يا رافينا، كانت جدتي تنتمى إلى شعب كورنولول ولهذا السبب دعيت مارك، هل تعرفين أسطورة مارك الذي كان ملكا على كورنولول !! »  
حدقت رافينا في عيني وقالت:

« طبعاً أعرفها، زوجت أحبت الفارس الذي أتى بها من أيرلندا وفضلته على أن تكون عروب للرجل الذي لا يستطيع أن يخيه. »  
والتي نظرة سرعة على النوافذ التي اسودت بالسحب المنذرة بهطول المطر أو هبوب عاصفة الصيف.

قال: « للحب معان كثيرة يا سيبورينا إن الرجال في صقلية يصنعون وجه عروسهم في يوم زفافها، أما نحن رجال سردينيا فنذخر هذه الصفة للحناسية التي تستحقها. »  
والآن اظن أن الوقت حان للعودة إلى الفندق حيث أقيم، أنه فندق [ الذئب والحمل ] في هذه القرية العتيقة، وبالقرب منه تقع اصطبلات الخيل، ولكوني أحد أبناء سردينيا فقد ولدت على ظهر جواد. »  
رافقت حتى اجتاز ساحة الحديقة إلى المكان حيث ترك الجواد وكان جوادا اسود اللون، واعتلى مارك ظهر الجواد بحكمة دلت على أنه رجل خبير بركوب الخيل ثم قال لها: « أرجو أن تسألني الكولونيل برينين إن يتيح لي فرصة رؤيته ظهر الغد. »  
أن من دواعي التقاليد الرسمية أن يسأل المرء والد الفتاة أو وصيها موافقته على زواج ابنته. ستكونين أنت موجودة هنا أيضا لتضمي خاتم الزفاف في أصبعك. »

زمرت العاصفة، والدفع الجواد بفارسه تجاه ضوء الفسق، ورفع الحارس يده ملوحاً وهو يقول: « وداعاً. »  
وانثارت حوافر الجواد سكوت العاصفة كما انثار الفارس ضربات قلبها. انتابها إحساس بالقدر الذي انشبت اطرافه في قلبها، فقد رأت أنها لا تستطيع أن تخبر جاردي بما فعله ابنه مارك دي كورزويو أنها لا تستطيع إيشاءه، أو أن يتعرض لأحدى الثوبات القلبية مرة ثانية لأن الطبيب قال: « إن جاردي يشعر بقلق على ابنه رودري اطلقنا هم الحب والهلاك الذي يلدم حياتنا. »

يده حقيبة سفر من القماش ، ويرتدي سترة جلدية فوق كنزة احكمت فحتها عند عنقه لتقيه برودة المطر . وضع رودري الحقيبة على الرصيف ، وحذق في وجعها مدة طويلة ثم قال ضاحكا :

« رافينا لقد كبرت أصبحت كائنا كاملا ساحرة صغيرة . خضراء العينين مكنت رافينا صامتة ولم تعرف ما تقعله سوى التطلع اليه . وها هو يعود بعد اقتراق استغرق عدة شهور ، ولم تستطع ان تصدق ان هذا الوجه المألوف لديها وهذا الصوت الذي تعرفه يخصان شخصا متهورا ومخمورا وهو يقود سيارته . وقف بعيدا عنها فالأفضل له ان يأملها من بعيد . وتفحصها مليا يسره وتأمل ثوبها الأخضر ثم قال لها :

« تبدو عليك الأناقة .. أين أبي ؟ » .

« رودري . تعال معي الى السيارة . لا بد ان اتحدث اليك » .

« اصططعت عيناها بالقلق وسألها :

« هل أبي بخير ؟ هل هو مريض ثانية ؟ » .

وهزت رأسها بالنفي قائلة :

« لا ، انه احسن حالا مما كان عليه في الايام الماضية انه يعمل بعض الوقت في وظيفة بإحدى الشركات في منصب اداري كما انه عضو في المجلس المحلي وانت يا رودري تبدو عليك الصحة »

لم تلاحظ رافينا عليه اية دلالة على انه يكاد اى شعور من تأنيب الضمير ومن الجلي ان مدة ثمانية عشر شهرا قضاه في استراليا ساعدته على ان تمحو من ذاكرته ما حدث في سردينيا . التفت حقييته والتفت ذراعه حول وسطها وراح يقودها الى السيارة وقال لها :

« اسمر بأنتى لائق صغيا ، اما انت فيبدو على وجهك الشحوب . لم تعد عيناك تضحكآن كمهدى بهما . هناك شيء خطأ أليس كذلك ؟ » .

ولم تجب على تساؤله ودلف الى السيارة وجلست وراء عجلة القيادة وعندما أمسكت بها شعرت به يحملق في يدها اليسرى ورأى خاتم الزواج وإلى جواره خاتم آخر من الزمرد الخالص يتألقان في اصبعها وفجأة قال :

« رافينا » . واستدارت نحوه تقابل عينيه المصدومتين قائلة :

« أرسلت لك بركة اعبرك فيها بزواجي ولم يكن لدينا ادنى فكرة انك في طريقك الى الوطن » .

وفكرت رافينا في ابن مارك واحمت بيرودة تملك بتلايب عظامها ، فان الميتة الرهبة التي لقي بها الطفل مصرعه نغصت حياة ابيه لدرجة انه لم يعد يحس بأى شعور بالرحمة على الاقل نحو افراد عائلة برنين .

لا بد ان يدفع برنين الثمن ، واختيرت هي بالذات لانها وحدها تستطيع ان تقدمه له وهذا الثمن هو طفل اخر ... ابن اخر . تراجمت رافينا عن النافذة وسارت الى متضدة الزينة ووقفت امامها في ثوبها الأخضر يهزها الثور وراحت تقرأ مرة ثانية البرقية التي تسلمتها في غرفة الاستقبال على انها بريقة تهينة للعروس ، ولكن البرقية كانت في الواقع موجهة الى وصيها ، فقضتها وقرأت :

« الابن الضال يعود يا ابى - اصل بقطار الثالثة والنصف ، الحب لك ولرافينا » .

رودري في طريقه الى البيت ! وسحقت رافينا البرقية في قبضة يدها ، ورأت ان من واجبها ان تلتقي به قبل ان يصل الى البيت الذي تستعد لمخادته هي ومارك لقضاء شهر العسل ، وعليها ان تخبره بالآ يوح يسره ، كما احتفظت به مطوبا عن جاردي . عزيزي جاردي الذي قدم سيفه الى مارك لكي يقطع كمكة الزفاف ، وابستمت عندما مر بخيالها انها ما تزوجت مارك دي كوزيو إلا لتتخذ رودري . سيعرف رودري ان الصبي الذي قتله بنهورا واستهاناره هو ابن مارك . كما ان وصول رودري لم يكن متوقعا من احد وقد يغضى بالحقيقة لأبيه .

انتزعت رافينا حقيبة يدها وتسللت من غرفتها وتناهد اليها اصوات الضحكات الصادرة من الردهة ومثل الشبح اتخذت سبيلها عبر طريق السلم الضيق الذي يقع عند نهاية الدهليز ، وقادها الى باب جانبي وفي استعجالها نسيت غضب زوجها عندما يكتشف اختفاء عروس القماشي » .

وعندما بلغت ساحة الحديقة كان الجو شامسا بضباب خفيف ينذر بالمطر ، لم يرها احد حينما دلفت مسرعة الى الكراج لتسقل سيارتها وتقودها الى الطريق حتى بلغت ساحة محطة السكك الحديدية التي وجدتها مهجورة ، كما تخيم صمت مطبق على المكان عندما سارت على الرصيف بدا القطار على مرمى البصر وهو يسعى عند إحدى المنحنيات حتى بلغ المحطة الصغيرة ، وملأها بضجيج وانفتحت الابواب وهولت الاقدام تغادر القطار وظلت رافينا ساكنة في مكانها حتى اقبل عليها شاب نحيل القامة اسمر اللون يحمل في



« تزوجت ؟ » .

« هيا بنا ، وفي الطريق سوف اجبرك بكل شيء » .

كان المطر اشبه بالضباب يكتشف الهواء ، وهي تقود السيارة خلال دروب المدينة الهادئة واخبرته بكل شيء في صوت هادي غير عاطفي وجلس الى جولها مشدوها اشعل لفاقة تبغ وسحب نفسين ثم سحقها والقي بها خارجا وكأنه يكابد مرارة الصدمة ثم قال لها :

« لا يمكنك احتمال الامر ، سأخبر أبي بكل شيء » .

« قالت بيرود : « وقتله ؟ الا تظن انك ارتكبت ما فيه الكفاية ؟ مات

طفل صغير » .

وكسا وجهه قناع من الألم والأسف المرير وهو يقول :

« رافينا انا ... ظننت انه يمكن نسيان كل شيء . إني أخطو على درب

الجبن مرة اخرى » .

« كل ما تفعله هو عدم إلقاء جاردي . هل تسمعي يا رودري ؟ » .

« ولكن ما هو الثمن يا رافينا ؟ » .

« زواجي » .

واوقفت السيارة عند منحني هادي والتفتت تنطلع اليه وأردفت قائلة :

« سأعتاد العيش في ارض غريبة » .

« مع رجل لا تحبينه ؟ » .

« هل قلت انني لا احبه ؟ » .

« انا اعرفك جيدا يا رافينا عيناك لا تجملدان بل تبعثان اللثام مادمت

سعيدة كانت تتألفان يا رافينا في الايام الخوالي » .

قاطعت قائلة : « لا داعي للحديث عن الايام الخوالي لن تغير جاردي بأى

شيء عما حدث في سردينيا انتهى الامر ولن يعود الصبي الصغير الى الحياة »

« انت فتاة صغيرة حسماء يا رافينا ! هذا الزواج يجب ان يفسخ قبل ان

يلغ مذه . يا الهى . هل تظنين اني ادعك تعيشين مع رجل اجبرك على

الزواج منه ؟ هل تعتقدين ان أبي سوف يتخلى عنك لو عرف الحقيقة ؟ » .

« قالت : « يجب الا يصرف يا رودري ! ان قلبه لن يتحمل الموقف ، اسأل

دكتور شاني » .

سألها وقد لاح وجهه في عينيها وكأن المنين تقدمت به :

« بهذه الدرجة من السوء ؟ » .

سألته : « هل تعتقد انك تستطيع الافلات من دون ان تنال عقابك ؟

مارك دي كورزيو يكابد ندوبه على وجهه وفي اغوار نفسه . هل تسمعي يا

رودري ؟ انه يكابد ندوبه » .

عندئذ النهار رودري يرينين وبدأ ينتحب كالطفل الصغير فربت على شعره

الاسود وحاولت تهدئته وتمتعت قائلة :

« يجب ان تمكث في فندق القرية حتى الغد . انت لا تستطيع ان تقابل

جاردي في هذه الحالة ومن الأفضل ان تتوجه الى البيت بعد ان ارحل انا

ومارك الي سردينيا هل تفهميني ؟ » .

هز رأسه . وعندما استعاد رباطة جأشه ثانية ادارت المحرك وقادت السيارة في

اتجاه الفندق ولكنها لم تجرؤ ان تترك رودري وحده كان اليأس مسيطرا عليه

وفي أمس الحاجة اليها فمكثت معه في ردهة فندق [ اللذنب والحمل ]

وراحت تجاذبه اطراف الحديث . وقال رودري صاحب اللون :

« رافينا ، سيقبلك عندما تعودين اليه » .

وتطلعت الى الساعة المعلقة على الحائط وشعرت بأصابع باردة تعتصر

قلبي ولاول مرة فكرت في مارك وفي غضبه قالت :

« اجل ، يجب ان اعود ، يجب ان تعذني يا رودري بأنك لن تفضي

بشيء لأبيك . سيكون الامر فوق طاقته » .

وثبت عينيها على وجهها وقال : « وماذا عنك انت ؟ » .

وقف على قدميها وتناولت حقيبة يدها ووشاحها وقالت :

« سأكون بخير كما يقول لي كل واحد اليوم . مارك ثرى وصاحب قرى

وله مكانة مرموقة في سردينيا وسوف اصبح سيدة بيته » .

وزمجر رودري قائلا : « كان هذا كله هو ما يهملك . انت الفتاة التي

اعرفها جيدا . انت ابعد عن كل انانية » .

« قالت ضاحكة :

« لا تجملني ابدا في صورة ملاك . وعلى فكرة جونيت كبروا مازالت

عزباء وفاتنة كأغنية ويلز . تذكر كيف كنت دائما ميالا اليها . جاءت اليوم

لنتشهد حفل زفافى وأشارت قائلة اليس من العار الا يشهد رودري زفافك » .

وعندئذ هزعت رافينا تبتعد عنه وعن الردهة وعن الفندق لترتمي في

الكتابة اسمك مارك برسعها وجذبها ثائبة وواقفها في مواجهته وسألها :

« هل أمضيت كل هذا الوقت مع رجل ؟ » .

كان من الغم ان يحسد جزءا من الحقيقة ولكنها لا تستطيع ان تخبره  
بالباقى . انها لا تقوى على ان تقضى له بمودة رودري الى انكثرا وانها  
اصطحبت في سيارتها . سوف يدرك ان قاتل ابنه هو الرجل الذى عجب . وانها  
تورطت في زواج لا يقوم على الحب من اجل حمايته انتابها شعور من اليأس  
البارد بحث الشجاعة في اصحابها لان تحدها فقالت :

« هل ان الاوان يا زوجي لان تصنع عروسك ؟ هل رأيت انه من المذلة ان  
تخفى عروسك في ليك زفافها ، وانها لا تمتثل بالخضوع لك حتى يبدأ شهر  
العسل ؟ » .

حملك في وجهها وشمرت بقبضة اصابعه تهشم عظامها وسألها معاير :  
« كم يلزمك من الوقت حتى تعرفني حق المعرفة ؟ هل تصورين حقا  
ان ما احبه في المرأة هو الخضوع فقط وليس شيئا اخر ؟ » .  
« يبدو انك قدمت اعذارا واهية للمدعوين عن غياب عروسك . وهذا ما  
دعاهم الى الدهشة » .

« أتوقع ان دهشتهم منا ستلازمهم لعدة اسابيع مقيلة . وسيتهمون يا  
رافينا انك ما تزوجت منى الا من اجل مالى ، وابن اجد المرأة التي يمكن ان  
تحب وجهها مثل وجهي ؟ » .

التوت شفته باهتامة شاحبة واسمك بلراعاها الاخرى ومال عليها ولكنها  
جاهدت لكي تبعد عن وجهه المشوه بالندبة . ولابد انه قرأ في عينيها ما  
يخالجها ، فقد كانت لا تحس بأية رقة في لسته وهو يميلها فوق ذراعه حتى  
بدأ شعرها وكأنه جناح من اللهب يجابه تسج كفه الداكن .

تصمت قائلا : « انتظرى مليا في وجهي . يجب ان نتعدي عليه لاننى لا  
اريد ان يكون زواجنا مجرد ظل » .

تركها وسار بعيدا عنها تجاه السلم حيث استدار ينظر اليها وقال :

« تمضى الليلة في رافنهول ونرحل غدا » .

وصمت قليلا ثم انفجر ضاحكا وبهدهة قال ساخرا :

« لا حاجة بك الى اغرائي بعينيك . ان شهر العسل سوف يبدأ في  
سردينيا وليس هنا » .

احضان الليل والمطر . قادت سيارتها عائدة الى رافنهول ، عينها الخضراوان  
متجمعتان كحجر الزمرد الذى يزين خاتمها ، وحدثت نفسها بان فى رسمها  
ان تتحمل اى شيء الا ان حتى غضب مارك .

دخلت المنزل لتجده نائما لم يبق شيء سوى الزهور مذلاة  
في مزهرياتها وقد تناثرت تيلاتها على ارضية القاعة . وعندما اغلقت الباب  
الامامى وقع بصرها على شيخ طويل يقف وسط الصالة الخافتة الضوء وسعى  
مارك اتيا من المكتبة وشمرت بوخزة من الخوف تسرى في اعماقها وهو يتقدم  
نحوها في سترته السوداء . سألها غاضبا وهو يهز كتفها يديه :

« ابن كنت ؟ » .

ظلت صامدة وعندما اشتدت قبضة اصابعه على كتفها ، ولم تح له  
الفرصة لكي يدرك مخاوفها . وكان الهدوء الذى تكلم به اشبه بلسع السياط  
تنزل فوق جلدها وبعد هذا الصمت قال :

« هيا ، اخبريني اين كنت ؟ يتفسرين لى سبب غيابك ، وسوف تتحلين  
كذبة . كان علينا ان نخير المدعوين بان وعكة الممت بك ، وان رحيلنا الى  
المطار قد تأجل . انتى اكراه المخدبة يا رافينا » .

« هل حقا نكره المخدبة يا مارك ؟ » .

تطلعت اليه وتساءلت :

« اى اسم اخر يمكن ان يطلق الناس على زواجهما » .

واردفت تقول : « لاشك انك سمعت عن الاضطرابات العصبية التي  
تعتري العروس في ليلة زفافها ، سيطرت بعضها على نفسى ووجدت انه من  
الخير لى ان انطلق بنفسى خارجا لفترة وجيزة » .

طوى طرف كم سترته وتطلع الى ساعة يده وقال :

« لكنك أمضيت عدة ساعات ومن حتى ان اعرف اين أمضيت هذه  
الفترة ؟ » .

قالت : « كنت اقوم بجولة في سيارتى » .

كان ما تقوله نصف الحقيقة ولكنها لم تستطع ان تواجه نظرات عينيها  
وراحت تتطلع الى باب المكتبة المفتوح وسألته : « اين جاردي ؟ » .

« ادخل الى النوم وهو جالس في مقعده متوتر الاعصاب قلقا عليك » .

ومست هذه الكلمات عصبيا حساسا عندها . وعندما شرعت السج تجاه

وتراجعت اصابع يدها في يبطه عندما غاصت ضحوى كلماته في عقلها المتعب وقالت : « انت تقصد » .  
قال « سطر عدا جوابا . لينة ستقمين صامدة على قدمك ، فأنا لست شيطانا كما يدلك » .

ولاح الاجهاد ولدموع في عينيها وهي تتصلع اليه . لو ان لديها الشجاعة لان بعضى له بانها كانت بصحة روبري ولكنها كانت بحسنى نوره عصه . كما انها لا تثق في رحمتها واحيرا قالت له :  
« انا ... انا ... يجب ان اذهب الى جاردى » .

الا انها لم تكذ تلعب باب المكينة حتى اسدارت لتلقى نظره اخرى على مارك . وعندما اسرعت بالدخول الى مكنته نملعل وصيها في مقعده وضع عليه ويتسم قائلا « مارك كان عاصبا . لا نهري ثانية يا عزيزتى ، انت امرأة متزوجة الان . انت تعرفين ذلك » .

وصفطت وجنتها على كتفه وقالت : « أجل يا جاردى » .  
« كنت دائما غدا ذات بصيرة مائة . أليس كذلك ؟ هل انت متأكدة من انك سعيدة مع هذا الرجل ؟ »  
وأدركت سيرة الحرص واشتت في صوت جاردى ، وفي الحال أتت به من الضروري ان تفتح انطباعية في بعضه

« وأى شيء اخر تشده الفتاة عندما تتزوج من رجل ؟ »  
واهتمت انفسا عريضة في وجه الذى تحبه ويحترمه كثيرا . ثم قالت في وجنته . وحطت نفسها بان عدا سيعود وروفي الى البيت والى أبيه ، وسيكون في ذلك عزاءه عندما يجمع شملهما !

\*\*\*

## ٢ - من يجرح الحجر ؟

الدروب عبر الجبل صقعة . متروية حول نفسها ، وبنت السيارة وكأنها تحيد عن مسارها ، لتستقر فى عمق البحر . وكانت الرياح تلطم زجاجها مما ضاف مريدا من الاحساس بهطل فاهم ، خاصة ان قيادة سيارة على حافة من عربة ومتهكة الى غاية مجهولة كان في نظر رافينا ضربا من الخيال .  
حسنت رافينا صامدة في المقعد المجاور قرب زوجها وانغمضت عينيها حتى لا يرى المحب لى تنوى عبر الطريق . ويبدو ان عاصمة الصيف اقتعت اثرهما عند عذرا بريطانيا . وضبط ملازمة لهما طوال الطريق .

قال مارك بعد مضي ساعة من الصمت :  
« أصف ان صورة الجزيرة التى اسديتها مياه الامطار هي اول منظر يقع عليه بصرك » .

وفتحت رافينا عينيها فوقع بصرها على الصورة الحاتية لى حدد معالمها صورة العاصفة . مشاهدت ألسنة النار وقد تركت بصماتها على صفحته وبعد صمت وجيز استطرد قائلا :

« بعثر كاستيل ديل نوري واحدا من أحمل معالم سرديبا عندما بنقى الشمس بأشعتها عليها ويعيق الهواء برائحة الليمون » .

كان يتحدث اليها كواحد من مثلى شركات السياحة وهو يحاول ان يقننها بأنها بحاجة الى الشمس فقط لكي تعشق مدينته تساءلت هل يمكنها ان تحب هذا المكان البائى الذى يقع بعيدا عن وسطها وعن جاردى الذى استأجر منزله بيت لثري شؤونه دلت رافينا جهدها لى تقاوم الى الوض الذى راح يؤز مصحهما وظلعت الى يد مارك وهو يدبر القيادة . ثم نقلت بصرها الى اثار الدروب التى انحرفت غائرة في جده وكان مارك يركز انتباهه على الطريق عندما قال :

« لا بد انك تشعرين الان بالاعياء ولكن بعد ميل او اكثر ستلوي »

كارثيريسو وشاهدين الشجار السرو لتي تملو في كبد السماء كالشاعر  
وسد الأمطار . ومن لمحتصم جدا ان يصفو انجو عدا وتشرق الشمس وتحت  
الكار . تقع بساتين الخيلجود التي تقترب من البحر والكروم المزروعة على  
جوانب التل . سألته بأدب

« هل تمتلك حصّة من الأرض ؟ » .

وشعرت انه يتسم باستياء وأجاب

« مساحة جيدة ، أنا معروف ها باسم بارون الأرض والفلاحون الذين  
يعملون في أراضيهم حماد الفلاحين الذين عملوا عبر السنين مع اجدادي  
. الاحداث لا تتغير سريعا في مردنيا لان اسلوب حياتنا ما هو الا صورة  
مستمرة للماضي » .

قالت واصحابها انعمت على حقبة ينها وتشتت بالجلد :

« انت تقصد النظام الاقطاعي وانت نموذج للاقطاعيين . كلتمتكم هي  
القانون في هذه الجبال والناس يحثون هاماتهم لإجلال لك » .

قال « لا يحى اى سرديي لاحد ، انا احمل اللقب فقط ولكسى لا  
احصل على حصّة من انتاج الارض اكثر مما يحصل الانحاصم الذين  
يفلحونها »

« وانت لك العمل ، أليس كذلك ؟ أم ان روحك وحده سوف  
تستخلص العمل لك » .

ألقي مارك نظرة سريعة عليها وسألها : « عم تحذنين ؟ » .

« في الأيام العابرة كان الاقطاعيون في مقاطعة ويلز يهزمون بصيت الاسد  
في كل شيء ويستخلصون العمل للحاكم ويقومون بتقييده له في فصره  
الذهبي » .

« إذن سوف تستخلصين العمل يا ربيبا لتقييده قربانا لاسد قصر السرو »  
قالت صابحة « حل يا مارك سأقدم ثيابي وشعري كما يفعل اى عضو  
سائيتي فإنتى لا املك سواهما » .

« سيناديك اهلى باسم يادروشتينا » اى السيدة الصغيرة » .

واشاحت ببصرها عنه وتطلعت رائحه البصر عبر النافذة المتأخرة لها وراح  
يتحدث اليها وهو يعتقد ان عرومه سعيدة وفي لهعة الي رؤيته بنتها الجديد .  
ويدو انه كان لا يابه كثيرا انها متعاني الوحدة والحنوف من وجودها في

لرعى غريبة مع رجل لا يحبها ولا يهتم بامرأة لا تكن له الحب .  
كانت ترى ان الحب وحده كقيل يال يعث في المرء الشجاعة والرعة  
في ربه لاشاء الجديدة ومقابلة حب امتصاع اساس وموجهة عداوتهم .

كانت ريب هي الروحة الثانية شى نامى الى قصر السرو وحدثتها عيرتها  
.. دماثا كانت حذرة ومحوبة من الجميع . وتصر ناشعر الاسود والعيس  
.. غنسى كفتيات الجنوب استدارت العربة عند احدى منحنيات الطريق  
حينى ولاح في الافق شجار السرو السامقة وبرجا منزل مارك اللذان يبران  
.. فوق الصحور لطله على البحر . كان القصر يبدو كقلعة مظلمة كثية  
.. شجار السرو في هذه حرس حوله ، ومضى البرق بصورة متقطعة عندما اوقف  
مرك السرو . رزب ربيبا درجات مله حجري وعددا من المصبيح احدثه  
معلقة على الحدران التي تحيط بالباب الامامى المرتفع

البحر والرياح خصللات شعرها وملابسها وهي تقفاد السيارة وسارت حتى  
وقعت عند اولى درجات السلم ويدو انه لم يكن متاسيا ان تصل الى هنا التاء  
هيوب المصفاة اعصم انبيها مارك ولاحطب قطراب المنظر يدعو مصدحة وجهه  
وبريق تلالا في عيبه

قال لها : « أهلا في بيتك الجديد » .

وقبل ان يلمسها هزعت تصعد د حاب السلم لتقف تحت المدخل هزما  
من المنظر ، كانت ترتجف اصصرا وتغرض على الا تكشف عن صطرابها ،  
قالت له وهو يقرع الباب :

« استطعت ان ادرك سبب عدم وجود مفتاح للباب في حافظة مفاتيحتك  
هل لأمور هنا في الكار بأحد مصير الضحمة الملكية ؟ »

قال مارك وهو يتأمل اساب لكبير المشب في الحدران انصمكة لميت  
« سيوب سى هكذا غالبا حتى تحمل موجات الريح الشمالية العصفه  
شارده ، وموجات الريح الشرقية احدثه انطقه بالعار ولاشك ان لاروح  
تقيمت معصى شلاح مظهر يشيع الرعب في قلوب العراصة الذين يربلون في  
الساحل تحتها وقدما قالوا ان بيت الرجل هو قلعة التي توفر الحماية بمعانه  
واهل بيته » .

وادركت من طريقة حديثه انه يجهل سعادة وفخرا بالبيت القديم المتين  
السياب الذى عاش فيه احيال متعاقبة من اسرته وابنته الشا الحب ولهدا

المسيب كان يتوق الى التجارب ولد يكون وريثا لهذه القلعة .

وفي هذه اللحظة انفتح ابواب وسارت رافيا الى الفاعة الكبرى حيث كان وميض الرق يكشف دروعا غريبة واثاث عتيقا ولوحات عائيلة معصم على الجدران المطلية باللون الزروري كقطع الحشب المشتعلة في المدفأة صابحت رافيا قائلة : « بار ! ! » .

صبيحة ارتياح من شخص يكابد البرد في داخل جسده وخارجة « واسرعت اتركه فوق السجدة الصوفية وتناكبت اصابع يديها طلبا للدفء وقطعت الاحشاب المشتعلة التي كانت لظاهرة الوحيدة المرحجة في تلك الفاعة الكبيرة ثم سمعت صوت يهتف :

« إذن .. هذه هي العروس ؟ » .

جاءت بكلمات فجأة من بين الظلال فالتفت رافيا واجفة القلب ورأت شخصا يجلس في مقعد بحور امدفأة . كان للمقعد ظهر مرتفع والفقرش تربع مساند وارجله ، وكان الشخص الذي يحتل المقعد امرأة عجوز ترتدى ثوبا اسود ييسا استراحت قدمها على مسند القدمين .

سقطت عيناها على رافيا . عيان سوداوان لا تنح الاشماع فيهما راحتا تتأملان وجه الفتاة الشاح وعبوها انحصراوا وشعرها الاحمر الذي ملله المطر . وتطلعت رافيا الى مارك رأت سماك الكبرياء في ملامحه وهو وقف الى جوار امدفأة وامتدت يده لتساعد على النهوض فترويح حاضمه . والتقى الصوء على لدوب وجهه فأحبلت رافيا من لمس يده وبهضب واقفة على قدميها دون الاستعانة به ولم تخاول ان ترى القسوة التي ارسمت على فمه فقال لها : « دعيني اقدم لك جذبي دوبا حوكاستا لبواردي . عادة ادعوها لانونا عندما اكون هادي المزاج » .

تمتمت رافيا بالنجحة التقيدية وكانت قد تمست ان تافى بحدة مارك اد اعتاد ان يتحدث عنها بحان فهو سلتى وببها وببها شيء مشترك ولو ان دوبا حوكاستا تتحدث الانكبرية بصلاقة . انها لم تكن على مودة معها ، ولا شك انها تفكر هذه اللحظة في عروس سرديبيا التي اتى بها حميدها الى البيت منذ ست سنوات مضت . وكان على مارك ان يتسم وتألقت عيناه عندما طلب شرايا وقال : « انه من الواجب احضار نخب لهذه المناسبة السعيدة » .

وهضمت دوبا حوكاستا واقفة على قدميها فجدجج ثوبها الحريري الاسود

مثل اوراق الشجر الجافة وقالت :

« هل تسمحان لي بالانصراف لاسي امصت اليوم بطوله في الاشرف على اعداد عرفتكم ونظيف البيت . انا متعبة يا ماركوس وسأناوب وحبة خفيفة في عرفتى قبل اليوم » .

قال بصوت يشوله عصب هادي

« ان تناول كأس معا لن يشترق وقتا طويلا »

ونظمت حدثه بحوه ثم الى رافيا ولاحت ومصة من انحد في عينيها عندما استقرتا على رافيا وقالت

« لم تتقدم السن بي كثيرا حتى امسى ان العشاق يجهون الاعداد وانا واقفة من ان عروست بفصل ان تسجود عبيك لنفسها »

وسارت الحدة بحوه وربت على حده الشواء باللذوب وحات يدها المتألقة بالحام فوق صفحتة لتشاهد رافيا ملامحه مرة اخرى ورأت الحدة في عينيها عبورا من امس مارك لذلك قررت ان تتركها وحدها في صفحتة حتى نعم معها ان يكون تحت رحمة طمئنته . واحست رافيا بالبرودة تسري في اوصالها حتى وهي قريبة من دواء النار ، حين قالت السيدة العجوز لها :

« ليلة طيبة . ارجو ان تخدي عرفتكم مريحة . حجرة العروس حجرة كبيرة ولكن ولا واحدة من عرائس اسرة كورزو كانت تشكو منها » .

رافق مارك جدته حتى مسحة واسعة تقع عند اول درجات السلم ييسا وقفت رافيا تتطلع الى النار ، الدخان المتصاعد من الحطب والساج يشتعل من حديد ليطاير عاليا مثل تنافير اليراع في حبح اعلام . وتبتهت رافيا عندما شعرت بيدي مارك فوق كتفيها عندما انصه اليها وهي مستترقة في هذا الجو الصامت وقال لها

« لا تترمي بما قالته لانونا انها سيدة عجز من اهالي سرديبيا وهي عاصة لاسي لم اتحد زوجة من سات جسي فأهاني سرديبيا متعصبون لعشيقهم ويتصفون بالكبرياء » .

قالت رافيا بصوت هادي :

« يبدو لي يا مارك ان راحلك ملى حطب النشقاء الى قلوب ثلاثة افراد ! »  
« وادار وجهها لمواجهته ورحلت يده اليسرى من كفها حتى استقرت على رصتها وأجلاها » ما الذي يدعوك الى الظن بانى شقى ؟ بالتأكيد انت



تعرّض يا رافيا إلى احدك فتاة جدابة بشعره الاحمر وبشرته البيضاء وعينيك اليعرجتين اما عن مسرك ... » .

وحديث في وجهه واحسنت كأن قاعا اسدل على وجهها فحال دون روثه فسألت : « ألا تجعل لشعري حيايا نديك ؟ هي ما مجرد شيء بالنسبة إليك ؟ » .

انمرحت شفته وألأأت اسنانه وسد وجهه بالاسمر المشوه بالحريق واستدار عنها وهو يقول : « انت اسنانه بدخل السرور الى القلب يا سدي ها هو ذا رموز أقل ل بالشراب سوف يخفي بحد ، شعر بالدماء يسرى في عروقها » وصب لشراب من قنبلة فيبسية في كأسين ثم سوبها إحداهما واحسنت بربوده الكأس في يدها اما الشراب فكان ذهبي اللون ووقع مارك كأسه وقال بلهجة الايطانية : « تحياتي » .

ونظرت رافيا إليه بريرة وقد انعقدت حصلات ملتوية عند سوالها وقالت له ببرد : « لم تعود بعد على لغة أهل سرديبيا » .

قال : « سأعلمك كل شيء » عن أهل سرديبيا .

كانت عياده تخملان معنى عميقا وهو يقرب الكأس من شفتيه ثم اردف قائلا : « لا يمكن ان يتحقق التقادم يا رافيا بدون شوب معركة او اتيسر » هذا ما يدفني » .

جالت رافيا ببيصرها على الجدران وتطلعت الى صور **الاشباح الغريبة** عنها واصررت الصلاب تلفيها الشمعدانات وفسحة السلم الكبير المؤدى الى السهو ثم عادت لتقول له :

« ان ما يدفني حقا مختلف منكما ما مارك لاسي بست مثلة كنت لها عواطفها لكي تؤذيها ، ان ها ملك ومع هذا لا اشرب بأى عاطفه » . فسألتها سائرا : « ولا حتى الخوف » .

وتحولت ببصرها من سلم العرف انعبا الى عرفة العروس الى سوف تقاسمه النوم فيها وقالت له :

« هناك عواطف أقوى من الخوف يا مارك » .

احتسنى نصف ما في الكأس ثم قال :

« أحب ان العطفة الخادعة أقوى من الحروف ولكن لاسامالك ساعدني الى

بعد حد » .

وهي لحظة اراد ان تقول له انها تحس بالامالة نحوه ولكن هذا الشعور - يمكن صحيجي لانها كانت تحس بقيامه لولبه الاسمر وكبرائه كلها مثلة في رفته امام المدفأة التي يصممها هذا البيت المظلم على البحر بل انها كانت تحس بعظمته . فقط عندما كان شبح حاسب وجهه المشوه بالدماء مبعدا عنها قال : « انتهى من احتساء كأس حتى تتوجه الى عرفة » انت في حجة الى انعاش جسمك بعد هذه الرحلة الطويلة وقيل ان تناول طعام انشاء واتحد سلهما الى فصح السلم ورأت وجود عده عرف وعمرات تؤدى الى جزءا محتففة من المنزل ولكن رافيا احسنت انها ليس سيدة القصر وشعرت - انها شخص عرس لا يشعر بالألفة في بيته .

قال مارك وهو يرفيق السلم متجهين الى البهو : « حيايا يقع في برج الفارس » .

لم يستدار شمالا وسارا في عمر يقود الى سلم اضيق واحسنت رافيا وهي سير الى حواره انه لم يقم مع دونانا في ساح الفارس وانما عاشا في السباح البحر . فسألت : « ماذا تسمى البرج التوام ؟ » .

« برج المادونا اطلقت عليه هذا الاسم احدى حداتي وهي فتاة خالدة من سكان وركان أهل سرديبيا لا يستسلمون لمثل هذه الحيلالات الرومانتيكية لانهم اناس عمليون » .

كانت هناك مائدة تجاور سلم السرح وتسمح بدخول ومصات السرق التي كانت بهر اعصاب رافيا وربما كان المرق والظلال انترافقة سسا في ان سرع مارتقاء المدرجات حتى كادت تقع على وجهها لكن مارك كان اسرع منها اد مد يديه ليحفظ ثواب جسمها وفضاء النقب درعاه حولها فقاومت رافيا وهي تحاول الفرار منه ... مرددة : « لا ... لا ... » .

لكه امرها قائلا : « إهدأى لمسكى لس من انقباض المشعة ان يحمل العريس عروسه ويحبر بها عتبة المنزل ؟ » .

« هي حصوة طويلة حميها وعبر بها عنه عرفة اليوم حيث كانت المصابيح مصاة وحظ متشتلا في مدفأة الدفء ، يشيع في ارجاء عرفة واثائها . وفل مارك حاملا رافيا ووجهها على معدة من شفتيه لتسب لايندر عليهما ة ملاعب من لرحمة فل لها « آه تنفيري لي وكأنك تزوجت شيطان » . قالت **بند** : « انا متعبة يا مارك وانت دائما تعذبني » .

واسبلت حصونها كأنها لاترعب في رؤية نظراته ومع ذلك كانت تحب عيبه  
تتميلان شعرها ويبيض بشرتها ولأول مرة في حياتها أدرك كيف يبدو أمام  
رجل ، وكيف جعلها بشر بأنها مسوبة الأرد . وما كان هذا الرجل هو  
مارك فانها كانت تود ان تشب ظاهرها في جسمه حتى يشعر بالألم .  
قالت له بوحشية : كم أكرهك وأكره هذا لمرل ، وهذه الجزيرة التي  
تفخر بها ، أشجار مبنية على أحجار ، وأنت لا تقف حجرا عنها .  
قال ساحر : مجرد كلمات ، هل تطيق ان مجرد كلمات تستطيع ان  
تخرجني ؟  
قالت له : وهل تطيق ان شيئا يمكن ان يخرج حجرا إلا الحجر ، ولا  
يوجد شيء أكثر برودة من امرأة باردة .  
قال : : مجرد وعود من شفاة ناعمة .  
ثم اردف يقول : اني لم أتزوج منك من اجل كلمات ناعمة او  
نظرات ناعمة او حصون متأس وما تزوجت منك لاني أريد طعنا بكل  
الروح والمرح الذي كان يتمتع به دوستي .  
واحبست في هذه اللحظة أنه يجرع الألم وان العذب الفاسي هره حتى  
دفعه لى ان يربها من على ذراعيه ويضعها عه بغوه وانفسوه تكسر وجهه  
المشوه بالندوب .  
قال : : احضروا لك ماء الاستحمام .  
وأشار الى اديق نحاسه موصوعة على عنة الحمام وماسح دافعه وستاره  
شعافه اسدل امام الحمام ، ثم اردف يقول  
: اسباب الزحمة ها صليقة الى حد ما وبكث مشتهرين بالدوء فرب  
اندفاع ، دبر لا يوبا وصبيغة صغيره جدمنك لا أعيب الجدم ها من الرجال  
وهذه الليلة يمكنك تدبيرها بعكس .  
قالت رافيا يهدوء : لا حاجة لي الى وصيعة . انت تعرف انه ليس  
لدينا اية واحدة في راضهول وأنت اعتدت على ان أدير اموري بنفسى .  
: انت الآن في كازاشيريسو والموقف متغير . سوف أخير وأزير بان يجلب  
فتاة صغيرة من فتيات القرية . انت البادروتشينا ولابد ان يكون لك وصيفة  
خاصة تهتم بملاسك وتصعب شعرك .  
قالت له وهي تنظر اليه بنظرات متحلية :

E86

ألا يحبك شعري كما تراه يا سيدى ؟ .

: مستعجبه كما كان بالأص وهو تحت طرحة الزفاف وسوف ترتدين  
ثوبك المخملي الذى شاهدتك به حينما قدمت لتناول الطعام فى راضهول اول  
مرة هل احضرت الثوب ملك ؟ .

ورأوتها الرغبة فى ان تبخره بانها نسيت الثوب فى انكلترا وقيل ان تنعوه  
بكله سار مارك الى دولا ملابسها وضع اوابه الكبيرة ورأت ثيابها مسقة  
على المشايح وبدأ بها تثير المخملي الذى رفعه مارك من مكانه . وأحست ان  
اصرار مارك على رتداء هذا الثوب يعد تدخلا سافرا فى استقلالها الشخصى  
وأردت ان تنزع الثوب من يديه وان يدعها وحدها . قالت له :

: حسا لى رندى الثوب .

وصع مارك الثوب على الفراش وقال لها -

: سأكون فى العرفة المحذرة وسأدعك وحدك حتى تستعدي لجعل العشاء  
الذى أعد خصيصا لرفاهى .

تأملت وراء الستارة ونضت ثيابها عنها وراحت تستمتع بنفثه الماء  
الساخن الذى هدأ اعصابها انقصطرة وعندما استحمت لغت جسمها فى  
مسحة كبيرة وعادرت الحمام وصارت حتى وقفت امام مصده الزينة وشد  
اشياها على من القطيعة مفتوحة تحتوى على قلادة زمرد مربية بسسمة  
مرصعة بالناس . سرت رعدا فى يدها وحشيت ان يكون مارك دخل العرفة  
انده استحمامها ليضع اللعنة على مصده الزينة وشاهدها من خلال الستارة  
الشعافه وكلما فكرت فللا وحشت ان من حقك ان يأتي ويخرج من عرفة  
بومها كما يشاء وان يقدم لها حبة اعجابا ، ورأت ان افلادة تمشى مع  
خاتمها وثوبها المخملي وشعرها الاحمر .

اشاحت بوحشها عن الهدية وأردت ثيابها بيدين برديس كاشنح وعقدت  
شعرها فى تصفيعة كالتاج وسحمت مارك مرة ومرتين يسير فى العرفة المجاورة  
ونارت اعصابها عندما قرع الباب يسألون فى الدخول فأدست له ودخل وهو  
يردى ثياب السهرة وبدى فى قومه الفارع رجلا بل سيد للعرفه  
قال : : آه ... أنت مستعجلة ... تقريبا ! .

وتصلع بها من فمة رأسها الى احمص قدميها ، فرأى بشرتها ابيضاء  
سريها فتحة ثوبها المخملي وشعرها الاحمر الذى يزيى رأسها وعينيها الحصريوين

وأحبست رافينا بأغماصة خفيفة عندما رأيت مصدة عجاب في نظراته .  
تقدم مارك والتفت للقلادة من عنقه المحملة وأسدر حتى وقف خلفها  
وقال : « دعيني ألبس القلادة حول عنقك » .

وبسط على امرأته ، سلط بصره على نظراتها وأردف يقول :  
« تعمدت لقلادة يا رافينا ، أليس كذلك ؟ » .

قالت بصوت بارد : « انها رائعة للغاية بها جزء من ميراث العائلة وما  
احلته اليك كذلك ؟ » .

فقال لها : « انت اخذتني لانني اعطيتك لك . هناك قرط يتمشى معها ،  
ولكنك في الوقت الحاضر صغيرة على رتلتك . أدناك صيربان ومما جميلتان  
في حد ذاتهما ويجب ألا نفسد جمالهما بأقراط ذهبية ثقيلة . انت فانت وكل  
عرائس اسرة دي كورويو ترسم لهن صور ذاتية في اسرة الاولى من الألفاف  
وسوف استعدي الرسام متيليو فايزي ليرسم لك صورة » .

لم تخد رافينا أي حدود في المفارضة وبوقدر لها ان تعيش في سرديا  
تسبب ان تعجز الصبور اشئ يقوم عندها انفسر ، وسحر لدى تقع تحت .  
وفي هذه اللحظة رأونها اربعة في ان سح ولكن حالها شعور بالكد ، وهي  
تقدم مارك وحلف وراءها عرفة يوم اربوب .

عند مائدته مساءً وصبب عليها « ندى حرم السمسم » و« كوكور »  
الشرب ، وفي وسطها وضعت وهرور وعنى صوب الشموع أنقلب رافينا على  
تاول الطعام بشراهة ولم ترفض كأساً ثانية فمدي بها مارك بعثت لـ « في  
جسدها وأصابته عقلها بحمول وكان ذلك مقبولا مع التجربة التي تخيذ بها  
تحدث مارك اليها عن الجزيرة وثأريتها حتى تركها اسفله وبوحها مدحوس  
بالقرب من المدفأة وجلس مارك على أريكة كبيرة يسما راحب رافينا صلب له  
لنجاح قهورة .

قال لها : « الامسيات بدأت تعيل الى البرودة » .

ناولته فنجان القهوة وهي تتجنب لقاء نظراته وقالت له :

« أحب النار ، انها تجعل العرقه تبدو في صورة بهيجة » .

قال بالباطالية : « حسنا » .

وشعرت نظراته تخدق فيها وهي تخلص على مقعد بمساند ، البون لاجمر  
لتوهج يشبه نور الاركة . سألتها : « هل سعت هذه العرفة على لهجة ؟ »

وتطلعت حولها وشاهدت الشموع مارالت مشتتة ورأت لوحة حص في  
السقف تصور عاشقين من العصور الوسطى يشابكت ايديهما ، والحوريات  
ترقص مع آلهة الاعريق كانت العرفة تنسم بالوثنية ، مثل الرجل الذي  
يراقبها برأسه الاسود الذي اسند على ظهر الاركة الحمراء .

قالت : « لا بد اننا نعيش في قرن اخر غير هذا القرن كأن الزمن توقف هنا  
في كراتشيسو والاباء اثار والمذرات وصيد الصقور مارلت تعيش بيتنا » .  
« هل ضايقك ذلك ؟ ربما تمتين بصلة لتلك الايام . لديك سمة  
العصور الوسطى التي قبل لها تعود تحيا على بعض الوجوه . انها سمة من  
الحزن والكآبة » .

سألتها : « هل لي ان ابتمس يا مارك ؟ » .

وبسما كانت رافينا تسأله التفت بعينه الحالكتين في السواد . كان وثنيا  
حتى بات لا يكتشر بمشاعر عروسه برعة النار بدأت نموح في اعنقه ولى  
سهم شرفه حتى يدفع بريش ثمن موت دريسني وبطفي لهيب الألم الذي  
يحترق قلبه . وتحوّلت نظراتها الى النار والذهب الذي راح يسري في اطراف  
الحطب وفكرت ان يهرب من مارك ، كان في متناول يدها ان كتب لها  
رودري دات مره رسالة بحث بها من اميراليا متوسلا اليها والى ايها ان يلحقا  
به هناك لأنه اصبح يفتقدهما كثيرا ولكن بيوسوت وبكر كانت تدور لها نهاية  
العالم وام الرحلة منهكة لجاردي .

سألتها مارك : « هل انت قلقة على جاردي ؟ » .

انتابها تورم مفاجيء اليس غريبا ان مارك يقرأ افكارها .

أحابت بصوت يشوبه الالم : « أنا .. أنا افقدته » .

« هذا شيء طبيعي » .

« أوه ... مارك » .

وأحبست كأن سكيناً يقوس في قلبها وأردفت تقول :

« هل نهمك مشاعري ، وهل يلقىك أنى أشعر بالأسى لعادي عه . إن

عوائلي الوحيد هو وجود رودري معي » .

وحجم صمت مطبق عقب أن تموت بكلماتها ، وتطلعت الى مارك

ورأت في عيونه نظاير الشر ، فقال

« ادن رودري بريش موجود في امهول . إنه بريش الذي توجهت إليه

لمقابته عقب روحا مباشرة . وكان يحب علك رؤيته ' كان من اعظم عليث  
تخفيه لكي يكون بعيدا عن طريقتي .  
فانت ياسا ' نجل ' أرس برقة وكان لراما علي أن أراه . كتب حائفة  
للعامة .

سألها : « خائفة على عتقه الثمين ؟ » .

كانت غياه تتألقان بومض يجدها إليهما ويعرقها في بحرهما . فقمرت  
وقعه على قدميه ، وفي قعرها اقتربت خافة ثوبها من لهيب لبار وتعلل لسان  
من ألسنة النار بالخافة ، وعندما دُركت الحظر الداهم ، أطلقت صرخة  
ووجدت لماء يسكب من دورق راحي وأحست بدين بمسكان بها وترفعانها  
بعيدا عن النار .

قال مارك : « أيتها الحمقاء الصغيرة ! » .

ولاح متفاجئ لون وجهه تحج حده عتق ، هدت الدباب حنية واضحة  
، وأردف يقول : « هل أعماك رودري بريس حتى أصبحت لا ترين شيك أبدا  
وراحت يدها معالجاة الكدمات التي لحقت بها ، وكانت نوره ثوبها  
تغمي بللها لماء ، وأصبح غير صالح للارتداء ، والرعب البدين حناها  
حتى أنها لم تعد ترى سوى الجانب عتق من وجهه ، والحميم الذي  
ضاققت به ذرعا ، قالت معارضج لا مدافعة : « لا » .

وكانت صرخة أطلقتها صد الآله الذي قتل شعور الرقة فيه . وكل أنوار  
في مصه ، وتركها ترحل عه ، وأدبر وجهه بعيدا عنها وقال لها  
« حير لك أن تتوجهي إلى الدور العلوي ، لتسدلي ملابسك المتلة ،  
وسألتحق بك بعد فترة » .

تركته واتحدت سبينها عبر الصالة ، وارتقت الدم خات ، وارتفعت برد  
عندما لمس أصابعها ثوبها امتل «دي نوهه الجريح» . فلن يكون في وسع  
مارك أن يدع الرسام يمسك فرشائه ليرسمها وهي مرندة هذ الثوب المشوه ،  
نه سيحرق حقا . . ولكن انحرق أصدته وشمرت برباح جيما وصمت  
عرفتها في الرح ، وحلعت ثوب . وكانت أعطية الفراش مطوية ، وعليها  
ملابس النوم ، فارتدت ثيابها على ضوء المصباح ، والبار المشتعلة في المدفأة ،  
ثم جلست فوق مقعد مستدير وراحت تأمل الوجه لأخير لمارك .  
كانت هذه بية رافها . . ولا جدوى أن سأل مارك إيهالها حتى يعتاد

عليه . وعلى بيته ، أحملت عندما سمعته يدخل العرفة المجاورة . مع مرور  
الثواني إرداد فقها ، وراحت تعث بحاتم روحها الذهبي الذي أحست به  
نقبلا في أصبعها ، وسمعت سقوط مفتاح على المصعدة . وخبر السرير اندي  
ثم عن جلوس مارك على حافته ليطلع حذاءه .

لم يستطع رافها أن تارح مقعدها جيما فتح باب العرفة المجاورة فجأة  
ووجدته مائلا اما عينيها في روبة الخريزي الأمود ، وراحت تحق في بعينها  
الواسعتين وقد استحل : وجهها التي صفرة أشبه بصفرة ثوبها .

قال لها يسما كذ شعرا لأحمر يسدل مسترخيا على كسفيها

« يجب ألا تجلسي هكذا ، فانار دوت تقريبا اقترقي إلى فراشت » .

ولكن رافها لم تستطع التحرك من مكانها ، وبدت العرفة يشعلها ظله  
جيما أقل عينيها ، ورعها من فوق المقعد ، وحجمها إلى السرير ووصدها على  
البراشي واقترب بوجهه منها ، وراحت الغضب مازال يتطاير من عينيه .

أصبح يمر . لأن أنها كانت مصحة رودري جيما احتفت من قاعة  
الاستقبال يوم رافها ، وبه ان يعر لها ما فعلته قال لها وهو يحدل حصلت  
شعرا الأحمر حول عتقه : « أيتها الساحرة الصغيرة » .

انسانها رجفة لم يستطع السيطرة عليها ، لأن رودري وحده كان دائما  
يباديها بعاره الساحرة الصغيرة ، فأعصت عينيها حتى لا ترى وجه مارك  
المعذب في ضوء المصباح . قالت له صائحة :

« أطلقني المصباح .. أطلقني المصباح ! » .

وحجم الصمت . وسمعت صوت فرقعة . وبم يكن صوت إصفاء المصباح  
، وانسا كان صوت مزلاج الباب الذي أعقفه مارك بعد معاذرته عرفة النوم ، إذ  
تركها وحدها ، يسما كانت حصنه الشعر مارأت محذولة حول عتقه  
والدموع تنهمر على وجنتيها .

\*\*\*

يدت رغبة شفاقة في نظراتها وهي تسأله :

« الشرفة المطلة على البحر ؟ أنتي لم أراها .. هل تقودني إليها ؟ »

واضح ريتيرو ، واختراق الصلابة ، ثم سارا في كمر صيق ، وعبرا مدحلا يؤدي إلى الشرفة التي امتلأت بأشعة الشمس ، ولعمري يهوء البحر وكانت الشرفة سرور من لأمام لتصل على البحر مباشرة ، ومحصاة بسياج من القصبات الحديدية تأمينا لسلامة الواقفين . وشمتم ريتيرو قائلا ،

« البدر وسيتا سوف تستحق حصول طعام الأطفال » .

قلب : أجل .

وساربا إلى بهية الشرفة ، مأجودة بمصر الحلال ، والأمواج تنكسر فوق الصخور إلى عجمت على « الشاطئ » كأنها أطلال فلاع محصنة وشاهدت السور ترزف فوق صفحة المياه ، أدهشها أن يحب مارك تناول طعام إفطاره في مثل هذا المكان . هذا الملك الذي يتمتع بمشاهدة هذه المناظر الطبيعية ، ولد هذا البيت الكبير القائم على المعقل الصخري . ... ها هنا ملأت المرأة قلبه . قلب قلبه بعد موت ابنة دريسي وخاصة أنه يملك كل هذه القرى . بلا اس برنها . وقعت رافيا عند سور لشرفة ، والريح بعث بشعرها ، وعلى سماتها ملامح العروس الأسيرة . وكانت تعلم أن مارك سوف يقسم ليها حالا ، فتورب أعصابها من مقابلة بعد الموقف الدرامي الذي شاب فراقهما ليلة أمس . وأندربها أعصابها بدو وصوله قبل أن تسمع وقع خطواته فوق أرضية الشرفة . ابتلا الجو بشحنة كهربائية استطاعت أن تبشر بها وهي تسري في عموها الفقري الذي تجمد عندما وقف وراءها وهو يقول :

« صباح البحر ، أطل أنه لم يستغرق ميت وقت طويل حتى تعثري على وكري ، أخبريني كيف تربي الآن الكارا ، ولقد أعجبت بها بعدما أنشرفت عليها شمس الصباح » .

قالت : « أكثر وثنية مما كنت أقصو » .

وشمرت بضربات نبضها عندما تحولت لمواجهته ، ووجلته يتأمل الشمس وهي بسقط بأشعتها على شعرها . وكانت تتوقع أن تلاهي من برود هذين ومصاصه مهدي بعد ما حدث ليلة أمس ، ولكنه انشم ورفع حاجبا متعجبا لمعالجة التي أبدتها وسئل « هل تربيه وكر فاضع طريق بحفظ رهنة انتظارا لقلبة يدفعها أهلك لانتاذك ؟ »

### ٣ - رجل لا كالرجال

أحجب نامت أيضا بعد ليلة حالكة وسهاد طويل . وعندما استيقظت في صباح كانت الشمس تنسل إلى عرفة يومها تحمل معها الدفء وشدي الأعشاب وبسمة البحر . ظلت في فراش العرس تتأمل العرفة ، ووقع بعصرها على المقعد المستدير قرب المدفأة ، وتذكرت أنها جلست عليه بانتظار مارك ، وحسبها كالطعل في دراعيه ، وربما لسوكها الطعولي معه ، تركها وم يلعبها . فنشجت بالبكاء ، ونامت وحدها في عرفة الزفاف .

عذرت الفراش تنجد دلوا بحسبيا ماموا بالماء الدافئ ، واستمتعت بحمام عاد الانتماش اليها ، ثم فتحت حراية ملابسها وأحسبت برعة تخدوها أن تتمتع بالحربة والانطلاق خلال يومها ، فاختارت بلوزة مونة وسروالا قصصا ، ومشعت شعرها وأرسته على ظهرها ، ووضعت لمة من أحمر حدود تحمي معالم شحوب وجهها الذي يحجم على البوتر الذي كانده خلال أول سنة مصتها في كاراسيريسو . وعندما تحدثت طريقها لبحر من العرفة ، وشرعت تهبط درجات السلم الحزوي للبرج ، شعرت بالجوع ينشب أذقته في معدتها . ولم تجد أية إشارة تنم عن وجود مارك ، انترصت أنه يقوم بجولة تفقدية على البساتين وحقول الكروم التي تحيط بالكارا . وبدأت رافيا تتساءل اذا كان البيت هجره أهله ، عندما رأت ريتيرو يسير انصافه في سترته البيضاء ، ثم قال ليها بالابتالية وهو يحدق في سروالها القصصا

« صباح الخير يا بادرونيتا » .

قالت له بالانكليزية : « أحب أن أتناول طعام الإفطار يا ريتيرو » .

وكانت تنعم أنه يعهم الانكليزية لأن مارك أحضرها أثناء تناول طعام العشاء بأن ريتيرو كان يعمل في فنادق أوروبا » .

قال : « لادرون لم يعد بعد من جويته الصباحية ، وعنى البادرونيتا أن سطره تنصم أنه في الشرفة المطلة على البحر حيث اعتاد تناول طعام إفطاره »



وتناول بعدها التي تتحلى أصابعها بحواتمه ، وأحى رأسه الأسود ومشت شعته بدها ، فاشتتب رائحة نمار النجوم عالققة بشبابه ، كان يقوم بجولة في حقول البعوض - فصحت وعدت معدة للبصر ونعثة عصيرها في مصانع الموالح التي تقع على مبعده من الحرية ، ذلك أن دي كورزيو ماركه ميمرة على جميع المشروبات الممائية . وتمثل الماركة بصورة سمر جانم فوق صحرة يلعب الماء من نهر متدفق .

سألها : هل استمتعت بنوم عميق ؟

وفي صوته يره سحرية . لم نستطع أن نتطعم إلى نظرائه وهي تحب عني سؤاله بأنها نامت يوما عميقا . قال : حسنا ، ونحن عنها ، عندما طهر ريمريو في الشرفة وهو يحمل صبيبة عليها ألون من الطعام ، وبيتعه خادم صبر الس يحمل دورق منقهوه . روح الحادم الصغير يضر إلى شعر رافيا لدعي ، لأنه يعتقد أن يرى فتيا كاسيل ديل توري ينشر حثك الأسود ، واضطر ريمريو بي أن يرحله صديقه حائما وشعرت بأن الحادم لمدهور بعث في أعماقها بصريد من العربة عن دي قل ، وقام ريمريو بإعبد مقعد أمام المائدة جلست عليه رافيا فقال له مارك : يمكن أن تدبر أمر افطار بانفسنا .

قالت له : يبدو سلوكك غريبا معهم .

وراحت تراقبه وهو يصيب بها القهوة . ويقدم لها طبقا من حلوى التروفيون وشريرة من الحيز المقدد . واستطردت تقول :

بهم غرباء بالنسبة إلي . ذلك لا تصور ماهية شمويي يا مارك نصف حائلة لا أكد أنصور أن هذا المكان واقع حقيقي وأن رواجده فعللا .

قل لها : تناولتي صعدك يا رافيا ، إن لتروفيون مثل الحب ، يفقد شيئا من نكهته عندما يصبح باردا .

وكانت رافيا تشعر دائما بقبضة تعتصر قلبها ، ما بدأ يتحدث عن الحب . ماذا يقصد بالحب ؟ أن يمسك بها بين ذراعيه ، يمتلكها دون أن يشعر بأية حرارة مما كان يشعره نحو دويانا ... فتاة الجنوب التي فقدتها كما فقد درستي . كسرت رافيا الحيز ودهنته بالبرندة ووجدت التروفيول حيو المذاق والذبح اللذيذ ، وحاولت ألا تفكر في صعام الافطار الذي اعتادت أن تتناول في صحبة جازدي . وقربا من حال وهر المعروفة . ومن وراء نواد رافيهول سألته : هل تتناول حديث صعام الافطار في غرفتها ؟

أجل . لانوا بدأت تشعر بسها المتقدم ، وغالبا ما تنصبي الليل بكابد الأرق فيستايها الأعباء عند الصباح ، وقد اعتادت وصيفتها بانفسا أن تقرأ لها ادا حادها النوم . يستجلين القوة في شخصية الساردي فلا يلتبس عليك الأمر فتطيش أنهم يقتصدون اتصال . وحيسا تتاد لانوا عليك وتنقل حقيقة كولك وروحي ، مستكنصين أنها أقل تهكما عما حدث حيسا التقيت بها يوم محيثك .

لم استطع رافيا أن تمنع نفسها من سؤاله

هل هناك علاقة بين كون امرء سارديا وبين كلمة سارديويت (٣) ؟

هل تعين لي شخص متهمك مري ؟

قالت : بالتأكيد أن رواجنا أكثر دليل على مرارتك .

إذن أن شخص مري .. وأنت تشعيرين بأنك صبيحة لمراتي .

أعرف أنه شيء فطيع بالنسبة إليك أن تختار هذا الشعور ، ولكنه دفعك إلى أن يكون قاسي . وانه ينسوه منك يا مارك أن تتوقع أن يكون سوكي يسم عن رعة في أني زبد أن أكون هنا ، وما المسألة الا مجرد وقت أعد فيه نفسي كزوجة للتكيف على حب زوجها .

قال : لا أطلب أن تمنحيني حبك .

فسألته : لكنني أسأل عن نفسي أنا .. وماذا أريد ؟

إذا كنت تريد ريمريو بريسي ، فأفس أنه خير لك أن سقي معي .

وكانت كلماته بآثره كحد السكين التي كان يستخدمها في قطع شريحة بضيح معمة بالعصير

سألها : هل تخشى أن تتناولتي شريحة منها ؟ إن يطبخ الحرية حيو المذاق .

هرت رأسها وقد نشبت أصابعها بحافه مائدة عندما رأته بصيف السكر إلى شريحة البطيخ . وراح يلتهم الشره ، بهدوء يبعث على النجوم وررر أن اهتمامه به كامرأة لا يريد عن اهتمامه بشريحة البطيخ .

سألته : هل تأذن لي بالانصراف ؟

وأمسك بمشتمتها وألفتها على حجاب طبقها ، وشعرت بسفارتها مسيطرة عليها عندما تركت المائدة ، وبوجهت نحو جدار الشرفة ، ووقفت تحديق في لجال التي لمستها أشعة الشمس لدبية ، ولقي الجمال الوشي للمنظر صدي

لشعورها بالشقاء ، ورئت أن هذا المكان يجب ألا يكون مصيفا ، وإنما يجب أن يشتمل على الظلام الدامس حتى يتلائم مع حده لئلا يسيء تكديدها .

سألها مارك : « هل تذكرك جيلانا بويلز ؟ »

« لا شيء هنا يذكرني بويلز » .

« أنت تحمل في سره صوتك برودة ويلز ؟ »

« لا : وفي قلبي أيضا .. يا مارك » .

واستدارت لتتحدث مع المدافع ، ثم أردت تقول :

« ألا يكفي أنك حصلت على ، لا تطلب أن أحب سحلك » .

« يبدو لي كأنك تزعجين الثورة ضد الجزيرة .. وضدي أنا » .

نهض واقفا ، وصار نحوها مثل الثمر المتحضر للوئوب ، وحسنا دنا منها ،

رأى بوضوح السور محبوه على يديه فتدبرت بالصر لكي تتحمل لمساته

حينما أدار ذقنها ، وأجبرها أن تنظر إلى عينيه قائلا

« هل نطيس نسي بروحتك لثرد شعوري بالمرارة فقط ؟ هناك شيء كثير

من هذا يا رافيا » .

قالت « برعة » ، وشاب كلمتها حساس بالكرهية له .

« فإني أعني سفينته بتسامة متعككة : « أجل .. بعض من هذا ، بالإضافة

إلى أنني اكتشفت أنك مثيرة ، مريح من سره وجداع » . ثم وجدت

رافيا يدهش بقدره أن تخلي عصابي على ممي و تسيطر عليها بسرعة

لديك روح عالية وأن لا أحب خصم أي روح عالية » .

« ولهذا السبب لا تحمل في يدك سوطا ، لأنك في عي ع » .

« الشخص الضعيف فقط يحتاج أن يمسك سوطا ليرمي به مرة أو حصانا

» .

« إذن أنت تنوي ترويضني ؟ » .

« هو رأسه ، وراح يدفع خصلة من شعره إلى الخواء بعيدا عن حاجبيه ثم

قال « لا . عندما كنت صبي سوبا جواديا ربما متعربين على حواي نسائك

وعندما يكون سوبا على صفحة الماء ، وفي حضم العاصف متعريسي أكثر .

لست أحب الأشياء التي يروص ، يسي سردي ، أحب بربرة شمسا في أوج

الصيف وقوة الريح عندما تهب من الجنوب . وسعات أشجار السرم ، ولصمات

مواج البحر ، وسقوط حبات المربوب تحت أشجارها . أنا سردي يا عزيزي »

إنما لا يقل أية نسوية لأشور مدلة ، ولا يقل نرويسا لإحصاء المرأة »

وعندما نظرت إليه عرف السبب الذي دفعه إلى أن يتركها ليلة أمس فإن

الحواف الذي تملكها ليلة أمس لم يجذبها إليه ، فانحلت يجب من المرأة أن

تتحول دموعها إلى ابتسامة ، وتشرع بأنها هي حاجة إليه . فقالت فجأة

« دعني أرحل يا مارك » .

وتصلع إليها بانساعة دون سفتيه ، وأبعد يديه عن يديها ، وأستند على

سور الشرفة الذي يحول دون سقوط المرأة إلى أعماق البحر . واستطردت تقول

« دعني أرحل إلى وطني ، أعني حررتي من هذا الزواج » .

« ها وطنتك »

« بمسكك يمكن أن نفسخ هذا الزواج .. يا مارك ... » .

وتحول ليصره ليحدث في أمواج البحر الثائرة ، وبدا جانب وجهه المشوه

مثل البحر على وجه عملة برونزية ، وقال :

« نطلين شيئا لا أستطيع أن أمنحك إياه ، أطلبني ملابس . حلتي .

حديقة نزعها بالورد .. حصانا لمست وفتيات يسعدن التعرف عليك . لا

أبخل بأي شيء ، ولكن في حدود المعقول » .

« هل يحترق فسخ الزواج شيئا بعيدا عن المعقول .. إننا لئام .. » .

قال مقاصدا حديثها « يتحدث يا رافيا ، فقط إني لم أستعد شيئا مما

قلته لك يوم أن أتيت إلى دهبول ، وأحزنتك عن درستي . سأمنحك كل

شيء يمكن لرحل أن يقدمه عتده . فقط اسحبني طفلا مث أنت يا رافيا

بكرائلك وعييت الحميلتين وولائك لأسرة تريسي » .

« مولاء ؟ الولاء » . كانت أمواج تردد بكسة في عقل رافيا ، وصور

البحر بصرح عاليا ، وكان مارك وحده يرددها وهي شعر أمامها بالبحر ينزل

سكانها .

قالت « الطفل يولد من الحب .. كما ولد دريسي » .

نظر إليها بخشونة قبلت أكثر عورا عن ذي قبل وقال :

« لن نتحدث عن دريسي ، ولكني أريد أن أراك بعضا من صبيتي ،

الشمس حارة ، ومن لأفضل أن أعثر لك على معة » .

وعثر مارك على قبة قش في كهفه وهو عرفة فيها كل أساب الاسترخاء

، والهدوء . ثبت رافيا القبة فوق رأسها دون الاستعانة بمراة وسر شعرها

تحتها ، وجعلت حاجتها تظلل عينيها .

« أنت لست معروضة بمظهرك » .

« العزير كالجرح سهل التحدث ، وفي أي حال أنا لست خائفة » .

قال مارك : « أنا سعيد بذلك إن أي رجل يعيش في أعماقه شيطان  
نصرة لا يستطيع أن يتحمل معارضة أحد لروحته العالي ، دعيني أدرك حقائق  
السموم » .

وفتح بابا بعضي من الحقائق التي ملأت بأشجار السموم ، حيث راح  
عدد كبير من الرجال يتفحصون الشمار ، وتمهل مارك ليتحدث معهم وليقدم  
جهم عروسه . وأدركت رانيا أنه يمي بذلك أن يوطئ أو أصر روحه فأصبحت  
في نظره امرأة اللادون وأي تفكير في مسح الزواجر يقلل من قدر سيدهم  
ومكانته عندهم . وقد كرت أنه قال لها في استملاء وكبرياء :

« أنا سردي » .

وبدأت رانيا تذكر تماما أن الكبرياء والكرامة تعيان الشيء الكثير لدى  
هالي سردينيا . سردينيا حيث سمو أشجار الريفون بين صحورها ، ولشمس  
تغرق بتراب بأشعتها . وقوة الأرض تكسو وجوه أسها ، ورائحة لأعشاب  
وأشجار السرو تملأ التلال التي انتشرت فوقها حقائق الزيتون .

كانت القرية تقع على قمة التل ، وأبواب المنازل والتوافذ ضيقة ،  
وسطحها تميل في انحدار واحد ، والحدوات أشبه بالكهوف نمت منها  
رائحة أكياس الحبوب والأعشاب وقامت رافينا بجولة في القرية فنهضت  
لكيبة اعتيقة ورأت المافورة التي تتوسط الميادين ، وكانت السماء اعتدل معة  
جوارهن منها ، حتى تمديد أنابيب الماء من الجبال إلى ليون . وأدركت  
رافينا أن مارك بذل جهده لتوصيل الماء إلى بيوت القرية ، ولتحت بعض أسوة  
جبالسات أمام الأبواب يعمطن في مغازل صغيرة ، كل واحدة مبر سحي  
يرأسها للبادرون ، بينما تخدق في قوام رافينا النحيل وسر والها المصفاص .

ورؤية هؤلاء السوة ذكرنها بدوا جوكاست التي كانت تأمل أن تتحد  
مارك عروسا من بنات جنسه ، ولم تستطع رافينا أن تقاوم رغبتها في أن تتطلع  
في داخل البيوت فرأت الدخاخ يرحح في الغناء ، والأناث العاري من كل  
محيم لأن الأضواء كانوا ينفقون لعله في مدرسة القرية ، وعندما مرا ساهبا  
قال مارك : المعلم السيور لاندون سأل أحدا فعلم العدة في الكارا .

وفي هذه اللحظة خرجت طفلة من المدرسة تبحث عن شيء فقدته على  
الأرض ، وهجأة انحنى مارك لينتفض مدبلا سقط بالقرب من الباب ، وتحدث  
معها وهو يقدم لها . ولكنها وست هاربة حين رأت وجهه المشوه ورثته رافينا  
يسحق التذليل في قبضة يده ، ثم وضعه على قمة عمود الباب وواصل  
سيرهما . قالت رافينا بسرعة : « لا تأبه يا مارك » .

ولأول مرة أدركت مدى الجرح الذي أصابه عندما فرغت العينة من رؤيه  
البدنة العائرة في وجهه ، ولدت منه هاربة . ولست دراعه ولكنه مسحها بعيدا  
عنها ليس عني ، وإنما كنوع من الشعور بالاستغلال .

قال : « سب هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها النظرة الخاصة في  
العيون . تعني . إن هذه الدرجات الضيقة ستقودنا إلى الممر المؤدي إلى الكارا » .

انشدت حرارة الشمس ، ولتحت رافينا منظر البحر ، وودت لو تسأل مارك  
أن يتوجهها إلى الشاطئ ، فربما أقدامهما في مياه البحر ، لكن صمته بعث  
القتلحيرة في أوصالها ، وشمرت بالمسادة عندما بلغت أحجار جدار ماء الكرا  
وأحبرها أن هناك بعض الأوراق ستظهر في مكتبه ويريد بجارها ، ألقي نظرة  
على ساعة يده وقال :

« يمكنك تلبية بعضك بأي شيء ، أو ربما تخسب التحدث إلى حديثي  
فهي في هذه الساعة تناول قهونها في صالونها ، وأضر أنك تشعير بالحدود  
في حديقك بعد رايصة اشني تحت أشعة الشمس » .

وأدركت رافينا أنها لا بد أن تعقد صداقتها مع لانوبا أن أحلا أو ع-لا ،  
وافقت على اقتراحه شاوون فنجان من القهوة معها ، وقالت له وهو يسير نحو  
المكتبة : « هل تنوي احضار قهونك .. وحلك ؟ » .

فالتفت نحوها . وهو يصنع يده فوق مقص باب مكتبه ، ثم قال لها .  
« إن ما لا أبتغيه منك هو الشفقة » . وفتح الباب ولف إلى المكتبة وحده  
مررت رافينا قبعتها ، وسوت شعرها ، ودخلت الصالون وكانت دونا  
حواكاست حائلة تختفي قهونها ، وبدن سكارا ، فريما ، ولم تستطع رافينا أن  
تمتع نفسها من التطلع إلى السيكارا وهي تقول :

« هل أستطيع الانضمام إليك ؟ » .

ألقت لانوبا رماد السيكارا ، وهي تقول

« يوجد فنجان اضافي لما ركوس أين هو الآن ؟ » .

« لديه أعمال يريد إنجازها في المكتبة » .

« كنت أظن أنك شغلت لتستمتعي برؤية القرية . تعالي وسكني قهوث ، لا تقعي هكذا ، نصف جسمك داخل الثرقة ونصفك الآخر خارجها » .

« احبب رفيا بلهجة من يدفع عر صه » . « أرايني مارك أن أرور لقمه »

وسمعت المعجوز نفسها من سيكارها بشكل ساحر وقالت

« ألم يقل لك أيضا أن تحاولي مصادقتي ؟ » . ثم أضافت :

« أنت بحاجة إلى ما هو أكثر من عيتين حصراوين لذلك » .

وتحرك اندهاش عميق في دحل رافيا حسما تيب لها أنها ومارك على علاقة وطيدة وأنه لا تعلم كم هي حرة من مأساة مقتل دريستي ونشوة حبيدها . ارتفعت يد رافيا قليلا وهي تسكب القهوة وسرت حين جلست في الكرسي مريح لأن الأعصاب حانت قدميها . ولم تكن الدوا حو كانت نقلها لأنها ليست من الخبز فكلم سيكوب كرهها لها أعرق لو عرفت سب اختيارها عروسا لمارك .

سألته المعجوز : « هل أصعبك شيء في بلدنا ؟ »

قالت رافينا وهي ترتشف القهوة

« أنا اعتدت أن أكون ست قرية . ولذا استمتعت بالتحول في القرية ووجدتها مثيرة للغاية » .

قالت الجدة بتعامل : « أنت تحذئين وكأنك تقومين بزيارة سريعة لها يجب أن نمتري كاسيل قبل توري من الآن فصاعدا بيتك . ها سجنين حيث نسط لشمس أشعتها على حدران الكرا ، والرياح لتبره الحارة بهب ساخنة وجافة وتذفع الأعصاب إلى التوتر ، وعندما يأتي الشتاء نفضل الأمطار ، فتعرض الأنفقات للمحاصر ولكن لا حول دون سفر مارك وحده ، فهو اعداد على ألا يصحب زوجته معه في مثل هذه الأحوال السيئة . حتى لا يصح الكرا سيريسو تبني الوحدة عندم يرحل في رحلات عمل » .

قالت رافيا بأسى : « أن . أنا سوف أرحل معه عندم يسافر إلى برصيا سوف يأخذني معه إن أهلي يعيشون هناك »

« أهل سرديبيا يؤمنون بأن مكان مرة بنتها »

« مارك لن يتوقع مني أن أضع بهده المقاعدة »

وسمعت دوناجو كامتا نفسها عميقا من سيكارها وقالت :

« وماذا تعرفين أنت عن مارك بعد بضعة أيام من زواجك منه ؟ أنا تعهدته بمسي مد وفاء أمه عند ولادته . ورأيتك حتى أصبح رجلا . هذا الرجل الذي لا تعرفه . الرجل الذي كان قبل الحادث ، تنهات عليه كل فتيت القرية وكان في وسعه أن يختار أحملهن .. ذات المطر الفواح . والبرج الحلو » .

وتطلعت الداروبا المعجوز ملدا في وجه رافيا ، ثم أشارت إلى خزانة خشبية تستند إلى الحائط وقالت لها : « إذهبي وإتحي الدرج الثاني وستجدين في داخله إطارا من الجلد أحضره لي » .

وشاهدت رافيا لظلمتها ، فتوجهت إلى الخزانة ، وفتحت الدرج الثاني وشاهدت إطارا جليدا من النوع الذي يضم صورتين فأحضرته لدونا جو كما ستا التي قالت : « أفضحه ، وشاهدي الصور » .

وأطاعت رافيا يسما قلبها يخفق حقاقت سريعة ، وكما توقعت كان الإطار يضم صورتين أحدهما صورة لعروسين ، والأخرى صورة شخصية لمارك فتطلعت إليها ورأت وجه شاب نحيل شديد الجدابة عينا لسوداوان تصحكان وبملاهما الفرح والفرحة في الحياة ، وفمه حور ، يعطف حادا بما يتوافق مع صاحبه الأسير . كانت هذه هي ملامح صورته منذ ستة أعوام ، أما الصورة الأخرى لمارك فم تكن معروفة لها . وهي صورة روحه بفتاة مشرفة تردي طرحة تحيط بشعرها الأسود وعيستها انخملتين . وسألته دونا جو كاستا

« هل تعرفين أن روحه حبيدي الأولى كانت بهذه الصورة الجميلة ولها لوحه رتيبة في برج لنادوبا ، تصوري روحه حمانها حينما كانت هي ومارك في نوح سعادتهما بحيث أن دهمي مشاهدتها دونانا كانت حقا هدية من السماء لرجل مثل حبيدي . وعندما استعدتها اسماء تحدث معها معظم قده . وعندما ماتت فطصبت أدرك مارك أنه لن يحب مرة أخرى ، بالرغم من أنه كان من المهتم عليه أن يعيش مرة ثانية » .

وأطاعت دوناجو كاستا سيكارها في مطعأة حساسية ، وكانت صريقة إطفاء الميكار لها دلالتها الواضحة ، وكانها تريد أن تؤكد لها بأن أحب لن يستطيع أن يتنلغ مرة أخرى في قلب مارك . قالت الجدة :

« من فصلك بزوجي إطار الصور إلى الدرج ثانية . إنها ذكرى مؤلمة لمارك »

، ولذلك أحفظ به سرا .

وأطاعتها رافيا طاعة عمياء ، ولكن الوجوه التي رأتها في الصور راحت تجول في أعماق عقدها ، وبطاردها شبح سعادتهما ، وعندما عادت رواجهت لابويا قالت لها : « أرحو أن يكون أصدقاء ، أما إذا أُصررت على معاملتي كإنسان غريب .. » .

قاملتها الجدة قائلة بوضوح :

« أنت فعلا غريبة ، دخلت المنزل ليلة الأمس وكانك أتيت ضد رغبتك ، هل كنت تزمين أن يمش حفيدي معك وفي بريطانيا . »

وأطلقت الجدة ضحكة إذراء ثم واصلت حديثها :

« أنت تزوجت من سردي ، وجدوده ضاربة في هذه الأرض وأرضه هي حياته . وتزوج ثانية مثلما يفعل عندما يزرع أرضه من جديد بعد موسم الحصاد ، إنه يريد ابنا له . »

وأشاحت رافيا بوجهها عندما نُحست بالعداوة في عيني الجدة التي راحت تتفحص قوامها النحيل ، وقالت لها :

« مارك أحمرق . إذ أي فتاة في الجزيرة تستطيع أن تسمح بصيف دسنة أطفال ، إذ يبدو من تصرفاتك كأنك لم ترعي يوما في أن يمسك رجل . »

وكانت ملاحظة شديدة أيدتها دواحو كاستا التي رأب حاسا من الحياء فأصبح في وسعها أن تنص بوضوح بنظر العروس المذلهة بالحب ، وقد رأته من ريف موقف الماعنة متحدة مصهر الأسانة لأسيره ، وكان أمكارها وأشوقها تعيش على مبعدة أميل ، مثلها لابويا « هل أنت شقية ؟ » .

بدأت رافيا تسير نحو الباب وهي تقول :

« كيف أكون سعيدة ، وأنت تقولين لي أنني أفتقد الزوايا التي يحب أن تنور في الروحة . لست محبوبة ، ولا يرحب أحد بوجدى ، ومع ذلك لا أستطيع أن أجد حقيقتي وأرحل في حرية من هذا البيت . »

وجدت الباب تفتحه وأسرت تهوب من صالونها والزوج في كهف مارك رابعة ألا يتر عليها أحد . كان موعد ساول طعام العداة قد حان ، وعثر عليها يريو ، ولكنها تمسكت بالصلص وهي تتناول الطعام مع مارك وحده . وعندما عذرتهما دوا حو كانت تستمتع بالقبولة ، علمت رافيا من روحها أن حصل الرفاق قد أعده أهل الصيغة ، وسيقام هذه الليلة وأشعل مارك

سيكارا وأستلقى على المقعد ، ثم قال :

« هذا النخل دائما يقام عندما يتخذ البادرون لنفسه زوجة . سوف نستمتع به ، وسيرقص الشاب رقصة لطباطب الشعبية . الترتيلة . وستردي العتياب ناهي القومية ، وستحجب فتاة منهن لتقدم لك هدية »

وعصت رافيا شعيتها ، ورأب بعيني خيالها وجه دوناتا المشرق فقالت :

« ولكن يا مارك ، هذا معناه أنه لم يسق لك الروح من قبل . »

لاحظ مظاهر القوة في عيه ، وعلى فكه وهو يقول

« سيقام النخل وعشيرتي في انتظاري . إنهم يعملون بجهد واهتمام وعند حدوث مناسبة سعيدة يمرحون بحماس شديد ، وأنت يا ستورا دي كورزيو ستعبرين بالسعادة وأنت مولدة أجمل أنوابك . » قالت له :

« هل سبت أنك أقيمت الماء البارد ليلة الأمس على أحمل نياي . »

قال « أحل حتى أنفذك من الخرق ، وأنا أعرف كيف يشعر امرء عندما يلمسه نار الحريق . »

قالت « مارك ، إني أسعد لأني أبعد بلهاء في موقعي تجاه الحصل لم أنوقع إقامته .. و .. » .

« والحديث الذي تبادلته مع لابويا ترك في عسك شعورا بالاكشاش » ومال جسمه إلى الأمام . رنطع ميا إلى وجهها ، وكانت رافيا تخلص على وساده ، ودراعاها حول ركبتيها ، فبت صميرة الس ، ووفرة وأردف يسألها : « ماذا قالت لك جدتي ؟ هيا خيري . »

« هي .. حسنا .. قالت أنك سوف تتركني في الكازا عندما تقوم برحلات عمل لي الحق يا مارك . » .

فقاملها قائلا : « في أن تكوني بصحتي .. ليس كذلك ؟ » .

« أن أرى جاردي عندما تذهب إلى بريطانيا . »

قال مارك وهو يعود بظهوره إلى الوراء وتوقع يده ليدخن سيكارا :

« معهود ، ولكني لن أذهب إلى بريطانيا إلا بعد فترة طويلة وحتي للقبلة ستكون إلى روما . »

قالت : « مارك .. هل تدعني أذهب معك ؟ » .

ولم تكن رافيا تتصور أنها سوف تبقى في هذا المنزل الغريب المسكون بتلك الفتاة التي تصنع طرحة فوق شعرها الأسود ، وصورتها المعلقة في برج



المادونا والتي رجب بها الجميع وأردفت رافينا قائلة :

« أعنتت أن أتحول بطريقي الخاصة ، ولن أكون مصدر إزعاج ، وسأبتعد عن طريقك عندما تلتقي بالناس لتجري معهم محادثات العمل » .

ولاح لها أن وقتا طويلا انقضى قبل أن يقول لها متهكما

« طبعاً سأصبحك ممي ، لأنني إذا تركتك هنا وحدك ربما تفكرين في الهروب ثانية » .

وتصاعد دخان سيكارة فاحتفظ بأشعة الشمس التي كانت تندفق عبر النوافذ نصف المفتوحة ، وكان لون عيبيه السوداءين عميقاً ، وكان حاسب وجهه عارفاً في الفل ، فلم تجد الأمر هيباً لأن تشكره على وعده لصحتها معه في رحلته إلى روما . إنه يريد بها معه تنزل تحت بصره ، ولم تعد تثق في عدم ثورته إذا ما فكرت في الهروب مرة ثانية . سألتها سرياً :

« هل زرت روما ؟ » .

قال : « أجل » .

وبرع بتفكيره إلى الماضي ، وكأنما كان ينطلق إلى الأماكن التي رآها ويحمل لها أجمل الذكريات ، ثم عاد إلى الحاضر يستطرد قائلاً  
« قضيت شهر العسل هناك ! » .

\*\*\*

## ٤ - الظلي والجزيرة

زادت ظلمة الليل بانحفاء القمر . وزدادت النجوم تألقاً وبهاء . وامتألاً المكان يشدو الزهور مراب واقفة وحده في الشرفة المطلة على البحر تستجمع شجاعته لتبدو مريحة في الجبل ، فقد قبلت تتدفق حوافل الناس إلى فناء الدار ، ونساء امضاج . منذ حوقة الموسيقى في العرف ، ارتدت رافينا ثوباً رائعاً ، تحرق على السؤال عن صاحبه وبما وحده على فراشها في غرفة برح العائس . ورد لثوب من بألى سحر عيبيه ، وأثير فتنة وجهها ، وانتظرت في عينيها لحظة يراها مارك ، وسمعت وقع خطواته الهادئة عبر أرضية الشرفة حتى رقت بجورها ، وأمسك برسمها وأدأها نحوه بسطر إليها ، ولم تنعوه بكلمة عندما راحت عباءة تنامال مظهرها في ثوب الحريرة

قال : « كم أنت فانية ، ولكن أرحوك أن تتسمي الثوب بحص حدثي ، وقد طرأت لي فكرة أنه يناسبك » .

وبدت الدهشة في نظرات رافينا وقالت :

« هل تقصد أن لانونا سمحت لي بارتدائه ؟ » .

تلألأت أسنانه وسط وجهه البرونزي وقال :

« ليست لانونا ... وإنما أقصد جفتي السلية ديلمرا التي كانت تتحلى بصليب وهي ترتدي هذا الثوب » .

حككت أصابعه عفتها وهو بشت حوله السلسلة الذهبية إلى تخمخ الصليب المرصع بالآلي ، واستقر الصليب على صدرها ، ولمسته رافينا ، فأحست الدوء الذي بقي فيه من يد مارك . تمصت قائلة

« كم هو جميل صليب ديلمرا . شكراً لك يا مارك لأنك سمحت لي بارتدائه هذه الليلة » .

« أنا أعطيتك لك » .

« ولكن ... » .

وزوجح مارك أصبعه فوق شفتيها ليمسها من مواصلة الحديث وقال :

« لم يرتده أحد سوى ديمولزا وقد قلده لها جدي عندما جاءت الى هنا »  
وشمرت رافينا فجأة بالدموع تحرق ماقيها .

فقالبت : « مارك ، أحيانا تبدو رجوما للغاية » .

وعرفت بدها طريقهما الى وسطها وقول لها : « ولكي مي أعذب الأحياء  
أبدو قاسيا ، أليس كذلك ؟ كم أحب أن تقبليني يا رافينا » .

وقفت رافينا على أطراف أصابع قدميها وكانت تتنمل خفي ديمولزا  
الأوسدين ، وقد ربما بشرائط وردية ، ثم مست شعباها حد مارك غير المنزه ،  
وفجأة شمعت به يتوزر فقد أدرك أنها لا تستطيع أن تحتمل لمس بدويه ، لأن  
التفكير في نفسها كان يثير الغرغ في قفها . وأحكم قصة يديه حول وسطها  
، مماثلت رأسها الى النواء ، وراحت عيها الحصارواو اتسعا ، عندما مال  
بوجهه نحو وجهها وقال لها :

« كان يجب أن يكون الحمل سكرها ، مارأيك لو أنسي عطيت وجهي »  
انطلقت من بين شفتيها صرخة قاتلة : « مارك ... »

ولكن قاطلها قاتلا :

« وجهي يعرعث .. كما أفرع نك الطغلة التي حرحت من المدرسة »  
« كفى ... »

« أفزعك .. ولكنك مستعلمين كيف تعيشين معه مثلي » .

وانسحب ، وقد نثت ربيعة عقه ، وأردي ستره سوداء ، وفمضا ربيص  
اللون ، لم قال : « تعالي ، من الأفضل أن نهبط لمقابلة الناس الذين وصلوا ،  
فالطفل أوشك على الإبتداء » .

وكان النساء حاشداً بالناس رجلا وساء ، يرتدون أصغر ثيابهم ، يحدوهم  
المرح والبهجة ، وبدا حب الاستطلاع في عيونهم عندما طهر مارك في  
النساء بصحة عروسة الشابة فصاحوا :

« مرحبا بك في منزلك يا يادرون ، جئنا للاحتفال بالزواج السعيد » .

وقبل عدد كبير منهم نحتة رافينا ، المعص يضبط عني بدها ، والبعض  
يقبها وأحست أن ابتسامتها تجمدت على شفتيها إزاء الطريقة المتكلفة التي  
تظهر بها النسوة إليها ، وأدركت أنها يقص بمفارضها بالعروس التي سمعتها  
ووقعت الى جوار مارك . كانت دوانا واحدة مبهمة مشرقة ذات وشاح بكسو  
شعرها الأسود مثل لون بشرة مارك ، أما هي فشعرها أحمر اللون ، وبسريرها

شاحنة . شمعت رافينا بالتوتر وودت أن سكي وأحست بالمهانة من الصورة  
التي تعرض بها على الجميع ، ولكن سرعاً ما رابتها هذه الحجة عندما أقبل  
الحام بحمولو اللحم الذي تسمت منه رائحة لشواء ، والحر ، وأطلق  
المعكرونة ، والريزوت ، واللحس ، والطماطم ، وانفواكه ، وفاني الشرب الأحمر  
والأبيض ، وملكت الكؤوس وشرب الجميع سحب البادرون وعروسة ، وهم  
يرددون قائلين

« ميروك .. فنتبار ككهما السيدة العذراء » .

وأحمرت رافينا أن تخس بجوار دوناجوكاستا ، وعدد من صديقاتها وانهلن  
عليها بالاشعة المديدة ، وكانت لانونا تقوم بترجمة فحواها لرافينا التي أجابت  
عها أفصل إجابة ، وكما كانت سعادتها عندما بدأت رقصة التراتيلة .

لم تشاهد رافينا الرقصة من قبل ، وشمعت بعد لحظة بسحرها وخاصة  
عندما بدأ الرجال يتسللون الى داخل الحفلة التي عقدتها بعضهم ، وسرعة  
الموسيقى تسارع في وقعها ، وبدأت الغيتات في نداء أسماء الشباب الذين  
يعجب بهم . وكانت فتاة قائمة تقف بالقرب من رافينا عندما التقطت رهرة  
من شعرها ، وأقت بها الى راقص حير في الرقصة ، فأمسك بالرهرة ووضعها  
بين أسانه البيضاء ، وترددت صيحاتهم يسق لرافينا أن سمعتها كانت  
صيحات أناس يشتعلون بحد واهتمام ويلعبون بحماسة شديدة وتحوي في  
عروقهم حرارة شمس الاساحة ، واليخ العائنة وحمال الجريه امتزجوا

وعندما انتهت القصة بدأ الراقصون يربطون حولقهم باحتساء الشرب سيما  
كان عارف عتار يشدو بأعية عاطفية وكانت رافينا تراقب كل ما يجري فرأت  
مارك يتحدث الى بعض رجاله ... ربما كانوا هم هؤلاء الذين سارعوا الى  
إطفاء ألسنة الحريق التي كانت امتدت اليه . كانت رافينا تحاول أن تتواري في  
الظلال ، سيما كان مارك يدور سفرائته بحثا عنها ، وكشف المصباح عن  
الصرامة التي أرتسمت على ملامح وجهه . قال له أحد الرجال بصوت عال :

« يادرون ، يجب أن يذهب لصيد السمك عندما يحين الوقت آه يجب  
أن تصطاد بالرمح حوتاً رهيباً » .

قال رجل آخر صاحكا « الرجل صياد وعليه أن يجد فريسته » .

لطم الرجل الأول ظهر الرجل الآخر وقال :

« أنت تتكلم عن النساء ، وتقارن بين صيدهن وصيد السمك . إن صيد

النساء أفضل رياضة للرجال ، لأنه في الحقيقة ليس من السهل بروضهم . ما قولك يا ياردون في أن المرأة الأليفه أشبه بالمعزونة الحالية من الصنعة ؟ .  
أجابيه مارك وهو يبحث بعينه عن رافينا :

« المرأة التي لا تتشاجر معها ثمتها يقل ، إنها تحتل قلب الحياة .. وحشما توجد الحياة فلا بد من نشوب المعركة » .

صحبك لرجال وراحت عيونهم تتمتع النساء في نابهر الملونة ، وكانت هالة من تكبرياء والعصرحة تخيط بهن دون أدبي مخ من حصوع في سلوكهن وتقدمت فتاة فأزاحت الوشاح الذي يعطي رأس رافيت ومررت أصابعها فوق وجحتها وهي تتمتم : « سيدتي العاشقة » .

وكشف بصوت الفتاة المرتش عن المكان الذي اختبأت فيه رافينا ، فاضطربت هذه أن تنسل من محبتي وتقف في دائرة ضوء اصباح ، وهي السحال رافينا مارك وعندها اقتربت منها أحست أنفاسه بلعج عبقها . وكان طويلا أسمر اللون ، يحدق فيها بظفرة تنبيه الجميع بأنها ملكة له .

سألها بصوت ساخر : « هل استمتعت بالحفل ؟ كما ترين الرجال يرقصون مع زوجاتهم وسيدو الأمر غريبا لو لم نعلم أنهم في رقصهم » .  
وحديثها إلى حلبة الرقص وكانت اراقصة لا تعد ، أن يكون خطوبتين سيظنن ولكن رافينا كانت تتعثر في رقصها ، ودعاه فظف أصابع مارك على وسطها وهمس في أذنها بقسوة : « هل تكرهين لمسة يدي كثيرا ؟ » .

وصعصع وجهه على وشاحه الذي يعطي سرعها ، وبدت همسته أمام الجميع أنه محب لها وله بها ، فأعصمت رافينا عيها حتى لأرى المصاييح والمرح الذي ارتسم على وجهه وقالت :

« إني أحاول يا مارك أن أبدو عروسا سعيدة في العمل إنها لا تكاد تكون غلظتي اذا لم يستطع قلبي مشاركتهم » .

وبوقف الموسيقى عن العزف ، وحانت اللحظة التي يقام فيها الناس لنادروسية هدية الحظ السعيد هؤلاء الناس الذين يوافدون بحبهم حب الاستطلاع لرؤية عروس النادروس ، ويشعرون بشهقة نحو هذا الرجل الذي قاسى كثيرا من مأساته ، وهو الآن يعيد بناء حياته مع عروس جديلة شابة .  
تجمع أساس حول العروسين ، وتقدم فتاة تقوهم بعض الكلمات بحجة وقدمت لها هدية عبر مألوفة وكانت الهدية طبا مقف بعيون واسعة وسفك

طويته وكان دور رافينا أن تقوم على رعايته وبديله . ريت مارك على أدبي الطبي وقال مبشرا : « من أين حصلت عليه ؟ » .

تقدم أحد الفلاحين وانحنى أمام رافينا وقال :

« ابني الفلاح أتى به من رحلة بحرية كان يقوم بها ، سيدي النادروس روحك يندو على وجهها تعبيرات ذات معنى والطبي يجب أن يكون ملكا لها من حديثه مشاعري وأنا قلت له :

« أشكرك أحرم يا مارك كم أنا ممتنة بهديتهم » .

مسب يده كتمها وأحست بالدق يسري خلال بنورتها الحبرية فقال لها : « إنه في وسعهم أن يشعروا بسرورك ... يا عزيزتي » .

قالت : « ألف شكر » .

وانفرجت شفاتها عن ابتسامة وقوره وكانت عيناها محصنتين بالدموع بينما تشعشع الشعور بالامتنان والحجل لانها استطاعت أن تعقد صداقتها مع أهل سرديبا الذين يتصفون بالعبية . وكان الوقت يشير إلى منتصف الليل عندما بدأت الحموم تستقل عرباتها أو تمتطي دوابها ، عائدة إلى ديارها . وكانت تصبح وهي تودع العروسين قائلة : « وداعا ! ليلة طيبة ! » .

« حفلا سعيدا » .

وبدا وقع الحوافر يهتف تدريجيا وهي تستعد عن اشهر وأطفعت المصابيح واحدا تلو الآخر ووجد النادروس وعروسه نفسيهما وحيدتين في ماء لدار .  
وانسند مارك إلى شجرة سرو ، وراحت عيناها تلاحض الطريقة التي يقمع بها الطبي على ذراع رافينا وكأنه طفل صغير فقال لها :

« يهيجك هذا الطبي الوليد ... أليس كذلك ؟ »

قالت : « لم أملك شيئا يهيجي مثل هذا الطبي ، وسي أفكر في اختيار اسم يناسبه وأفضل أن أتفق عليه اسم باسم ادا لم يكن هذا الاسم نيت » .

قال مارك بكسل : « يبدو الاسم غريبا . علينا أن نجد له مأوى في الاسطبل . هناك يمكن أن يعقد صداقة مع مهر يقيم » .

حسنا الطبي ووصاه إلى حور المهر الذي حمل وصهل . وأرد مارك أن يهديه من رومح ، فربت عليه يده ، ووسطع الضوء من مصباح معلق ، فكشف عن اللدوب التي بدت واضحة على يديه وتطبع اليها مارك قرأها تحقد في هذه العلامات الرهيبة ، وأدرك أنها أنارتها ، وتصلعت عيناها إلى

عينيه ، فشاهدت قيهما رغبة متأججة فقال لها .

« هل تخبين ركوب الحيل ؟ » .

« أجل .. قليلا » قال « عنا ستمتطين جودا معي لنقوم بحولة  
سويا . أما الليلة .. » وصمت قليلا .. ثم واصل حديثه :

« أما اديبة مسوف تتعلمين كيف تعينين مع وحيي ولمسة يدي التي قد  
تحرق جسمك » .

وقبل أن تشرع في التحرك لف ذراعيه حول وسطها وبدأت خطواته تعاد  
الأسفل ، وهو يحملها ليبر من تحت اليهو المودى الى المنزل العاري في  
الصمت ، ولأن أصحاحا وحيدتين تماما ، بعدما انتهت المحطة ، وشعر رافيا  
بصرينات قلب مارك ندى وهو يرتقي درجات السلم ليصل بها الى برج العاوس  
. كانت يدها قويتين وهما ممسكتان بها وشعرت أنه ليس هناك أى سبيل  
للهرب منها .

وأخيرا وصلا الى باب دقته بقدمه فافتتح ، وكانت القاديل المعلقة بجوار  
الفرش مصادة وتدفى بظلالها المتوجهة على الأعطية المنيرة التي تكسو السير  
الكبير ، وتطلعت بصورها الى الفرش ثم الى الوسادتين عندما أتربها مارك عن  
ذراعيه لتقف على قدميها .

ترجعت رافيا من حراء المرح الذي استعنت به ، وشرب الحبوب الذي  
اشتت به ، ولأنه حملها على ذراعيه الى عرفة العروس مقصد لا يحصى .  
معاه . ولم تشر إلا ويدها تنسك بأحد أعمدة السير ، واجها الأحمر بهوي  
من فوق رأسها ، وشاحها يتهدل فوق كتفها . وشجعت بصورها نحو مارك  
فامتلات عينها بالحبوب من هد العرب الأسمر الذي يعد روحها . وهو يصير  
اليها بعينين سوداوين تحترقان بلهب مكبوت . قال لها بهدوء .

« لم يكن من شروط الاتفاق أن يعيش متفصلين . أب تعرضين بمودة قبل  
رواينا ، ولأنك أدركت معي كل كلمة من كلماته . إني أريد راحة »

وأبصت أصابع يدها وهي تقص على عمود السير . ثم قالت  
« لكي أحب لك ولدا أه أجل أعرف الشروط يا مارك ، ولم يراودني  
الأمل يوما بأنك سوف تعذل عني ، بل لم أتوقع ذلك منك » .

« هل كنت تتوقعين أن تجدي عاشقا ؟ » .

واجهت عينيه وهي تقول :

« صعا أنا ست طفلة يا مارك أنا أعرف أن في ومع الرجال الشعور  
بالرغبة دون الاحساس بالحب » .

« فلها : « أي رجل علمك هذا ؟ » .

أجابته « المرأة تعرف أشياء كثيرة من دون حاجة الى أن تتعلمها » .  
وبرك شعرها يتهدل حتى وصل الى مستوى قلبها بينما كان مارك  
يحطو خطوه كبير . يحوها ويقتص على رسمها ، ثم يقول لها

« هل تقصين أنني لا أعرف أنك تشرين بدت الى رودري بيريس . وأنت  
مازلت تهتمين به حتى الآن ؟ » .

سأله « وكيف لي أن أقول إني لا أشرع بشيء ؟ كيف لي أن أسي  
السيرة السعيدة ؟ » .

فانشد قصه مارك عن رسمها وكأنه يمي تخطيط عظامها ، فمرت اليه  
ورأت في عينه صورة نكل ما فعله به رودري ادى ضايرها أسعد أيام الطفولة  
وسوا لمراهقة ، وحملات الرقص التي دعاها اليها ، وهو متألق في ربه  
المعكري ولكنه كان يبدو لها صميم في حين يرى مارك قويا لا تشي قاته .  
قال له « إنا نحكم على الناس من رواية شخصيه بحتة ، فانت تكره  
رودري ، ولأنك أمرك ... » .

فقاطعها مارك قائلا : « أنا لا أفهم كيف يمكن أن تحبها » .  
وتوقف قليلا عن الحديث فرائت وجهه كالكثوب الأبيض ، وعينيه  
الغاضبتين تعكسان نظرة ألم ، ثم أرفد يقول :  
« كلما نظرت إليك أرى برنين في عينيك ، وكلما احتلنا سويا أراه  
بشاركا المرفه » .

فقال له « لأنك تحاول دائما أن تذكر اسمه في حديثنا . هل من  
اعنم عليك أن تدعو قاسيا هكذا يا مارك ؟ ألا تظن أن رودري قاسي هو الآخر  
الشيء الكثير ؟ » .

« إني أتوقع أن يصحو صميمه . هل عاد الى انكلترا لأن صميمه دأب  
على مطارحته ، ورائي أن يفرق ذوي الحادثة بين ذراعيك : ؟ » .

صمت مارك ، وعندما اقترب منها طلع ضوء المصباح فوق صفحة  
وجهه ثم أرفد يقول « هذه الليلة سوف تسيين رودري ، سوف تنس كل  
انسان في الوجود الا أنا ؟ » .

أصحت رافينا إليه ولم تستطع أن تنفوه بكلمة ، وكان الصمت مطبقا وهي واقفة تنظف اله ، وإلى عتبة السورين ، كسود الليل الذي غاب فيه القمر ، وأحاط الخمر في كفه ، وكان البحر صامدا ، وأشجار السور ساكنة ، وألسنة العشب والأشجار تنهض في عبه . وأجيرا . قالت سينا . هل سمعت باسمه ؟ كل ما نعرفه أن الأرض احتفت من تحت قدميها عندما حملها على ذراعيه ، وأخفى النور في لهب شعرها النازك .

هل كان مارك صادقا عندما أخبرها في اليوم التالي بوجود بعض مشكلات في أحد مصانع الموانع وضرورة دهنه إلى هناك يحملها ؟ لم تستطع رافينا أن تفكر شيئا في عييه بعد أن سقطت من نومها . واكتشفت وحده بجوارها ، وشعرها الأحمر ملفوف حول عنقها .

رحل مارك قبل الظهر ، وفي المساء وصلت رسالة تخبرها بأنه سوف يتعيب يومين أو ثلاثة ، ورحلت رافينا عسيها وهي تتناول طعام العشاء مع جوكاستا حتى لا ترى مدى الأرباح الذي عمرها لعب مارك . إنه يتاح يبحث على الاسترخاء لتفحص من التورن مسمر الذي يشبه وجود مارك ، وفي مسعها الآن أن تستكشف الشاطئ الذي يقع تحت المنزل . الحياة تدعوها إلى الارتقاء في أحضانها رافينا بجس سحر وحسية أنها ساحة ماهرة . وكم كانت متعة تلك لفعلات التي أنصتها على لشاطئ ، مصحة حاردي .. و رودري . حاولت أن تسدل الستار لسمع غفبه من التفكير في رودري ، ولكنه كان يقتحم دائما حديقته بصرقه تخدعها تحس بأنه يفكر هو الآخر بها ، فتهدت وأحسبت أن دوبا جوكاستا تراقبه بحده وسأكتها

هل تفتقد وجوده ؟

فطلعت رافينا إليها ، ووجدت عينيها مسلتطين عليها .

هل تقصدين مارك ؟

ماركوس ؟ أجل ! ومن سواه ؟ هل هناك شخص آخر غير زوجك تفكرين فيه ؟

واكتشف سؤالها شئ حاد فقد كانت رافينا تعرف أن الجدة ستراقب حياتها طوال فترة عاب حبيدها وربما صلب منها أن تراقبها عن كثب . قالت رافينا بصر : أشعر بخين للوطن . هذا كل ما في الأمر . كل إنسان ماعدا مارك بعد غربها علي ، وغدا سأعود علي بيتي الجديدي .

تجهمت جوكاستا : « إنني أدير هذا المنزل منذ مائت دوناتا ، ولن يطول بك الزمن حتى تكوني قد تسلمت مقايضتيه مني » .

فالت رافينا بتأكيد واضح : « أنا لا أريد المقايضات إنني سعيدة بأن أدع لك تدبير أمر الكرا . إنني لا أريد أن أقلب وضع الأمور أو تخييرها »

سألت الجدة العجوز : لماذا ؟ ألائك لا تحاولين لاهتمام به ؟

وكان هذا الرأي قريبا من الحقيقة وكانت رافينا سعيدة عندما تحولت لتناول قطعة من الكعك المعصى بالحريم ، وبعد العشاء استأذنت من دوبا جوكاستا في الاصراف للقيام بكتابه بعض لرسائل ، وبعدما استجمعت أعصابها بكتابة رسالة إلى حاردي بحره فيها عن سعادتها في المنزل الذي تحيط به أشجار السور ، ووصفت له الحقل الذي أقيم احتمالا برافدها ، والقرية التي تقع فوق انني . ثم راحت تكتب رسالة إلى رودري ، ولكنها ما كادت السطور تبلغ منتصفها حتى كورب الحصاد في قصة بهذا وألفته في مار المدعاة ، فقد رأت أنه لم يعد لديها شيء نصيبه إلى ما قالته له في يوم رافينا ، فهي تعرف تماما أن سلامة صحة حاردي تتوقف أساسا على السرية الشامة لكل ما حدث ، واد اعترف رودري لأبيه بأنه قتل ابن مارك مع المحتمل أن الميا سيؤدي إلى قتل حاردي . وفي صباح اليوم التالي توجهت إلى مكتب بريد القرية لتبحث برسالتها ثم تحدث حريقها على الدرب المؤدي إلى ساحل البحر ، وعندما بلغت لشاطئ ، وجدت مهنجورا فتخلصت من حجبها ، وحررت إلى الأمواج المتكسرة لتستمتع ببرودة الماء مشرب بالهدوء والاهتمامية . وبعدها قطع عليها حلوته صوب ساحل كلب صغير ، مبلى بالماء ، أحد يتسلل من بين الصخور يقترب منها ، ويقف أمامها ساكنة ، مشدوها مشددا . وتحوّل ساحل إلى هرب قصير . قالت له : حسنا . أنا لست أعشاك . وأنت بالتأكيد لا حاجة بك إلى أن تخشائي .

وهمد الهير ، وبدأ الكلب بتقدم منها وهو يهر ريله . كان كثيف الشعر ، تهطل حصلات من فوق عييه . شكله يدعو إلى الصحك وهو مثل ، وهذا النوع من الكلاب حبه رافينا أشد الحب .

سألت : من أين أتيت ؟

ومدت له بدا حاسة ، فأخى رأسه ، وأخرج لسانه ليلعق يدها ، بينما راح دبله يتراجع بعوه ، ودجاة سمعت رافينا صوتا ينادي : « تيو ! » .



الجدير برسمه . إن صور عرائس أسرة دي كورزيو رسمها مشاهير الفنانين ،  
وعندما سمعت أن مارك دي كورزيو قد تزوج ثانية ، قررت أن أتي وألقي نظرة  
على عروسه . قالت لصاحبة :

« أوافقك أنت أنت زوجي سوف يشارك لرسم صورتني ؟ » .

رأت رافينا فيه الحركة والنشاعة ، وأحسّت أنه من السهل عليه مكابذته  
وهو في ذلك يستغنى عن مارك الذي يموح عامل الخوف دائما في أعماقه ،  
ويدرك تماما أنه متحجر القلب ، وقبله قساوته على وجهه ، وانتشلها الرسام  
من تفكيرها حبيسا في قلبه مارك دي كورزيو رجل مشهور ، وحيث أنني أقيم  
في فيلا صبيحة تقع على الساحل الزمردى ، فإنه سوف يستدعيني لرسم صورة  
رغبة لعروسة البريطانية .

« أنا من مقاطعة ويلز يا سنور » .

وحال بصره نحوها متفحضا مشاهد شعرها الأحمر ، وعينها الخضراوين  
، وشمسها وهي تقف بين الأمواج المتكسرة ، والرياح المتطاير بشارت حلف  
شعرها . قال لها تمهلا :

« أحل أرى حبك سحرا أحادا ومن دواعي السرور أن أرسلك يا سبيورا  
دي كورزيو » .

قالت : « إنني أقصر جدا أن مارك سوف يستدعيك لرسمي » .

قال الرسام بصوت يشوب الكبرياء نبرة :

« لا أنتصر عوده روحك حتى أسأله القيام برسم صورة لك ، فقد اعتدت  
ألا أستاذة عندما يعجبني منظر طبيعي أحاد بدعني إلى رسمه . فما بالك  
عندما أرى امرأة جميلة ! » .

« أكاد أكون جميلة يا سنور » .

قال مبتسما : « إذن دعيا نقول أنك فائنة مثيرة ، ما رأيت في سرديبيا ..  
هذه الجزيرة التي يطلق عليها نحن الايطاليون هذا الاسم . إنها تشبه الحف »  
أجابت : « إنني أجد لها جملة نقية من كل صائد ولو كنت فائنة  
لتوقعت ألا تقاوم اغرايات الجمال » .

قال : « عروس لا تقاوم الاغرايات » .

وتطلع إليها ستيليو فابريي بظفر يشوبها حب الاستطلاع ، نظرة دهنتها  
إلى البحث عن حبه الذي تركه في منتصف الشاطئ فقامت لإحضاره .

كان الصوت أنيا من وراء الصخور ، فطلعت في اتجاهه ، ورأت رجلا  
يسل من بين الصخور ، عاري القدمين ، شعره مجعد ، خيل القوام ، يرتدي  
سروالا صيفا أروق اللون ، تعرضت أكثر أجزاءه للبلل ، وخصا أبيض اللون  
وصلت فتحة الصدر إلى وسطه . وشرقت مدله على صدره الذي العاري .  
واستطاعت مظهره الجريئة أن تلتقط كل صغيرة وكبيرة من مظهر رافينا ، ثم  
استقرت أجرا على شعرها الذي استحال لديها عندما سقطت عليه أشعة  
الشمس ، وراحت الريح تعيث بخصلاته فوق كتفها .

قال الشاب وهو يقترب منها ، وقد انفرجت شفتاه عن صميين من الاساد  
البيضاء : « عثرت على صديق لك يا تيو .. أليس كذلك ؟ » .

صمت قليلا ثم قال بالانجليزية : « صباح الخير يا ستيليو » .

ثم أردف يقول بالانجليزية وكأنه يعرف شخصية من يحلها :

« كيف للإنسان أن يعرف مبلغ سعادته في هذا الصباح عندما يعثر على  
صديق فوق رمال الشاطئ ؟ » .

تأملته رافينا مليا ، ولكنها لم تستطع أن تذكر أنها رأت في حفل الأمس .  
كان لديه ذلك النوع من اسفرت التي لا يستطيع المرء سبائها . وقدم لها  
وانتهي انصافا خفيفة وقال :

« يجب أن أقدم نفسي لك . أنا ستيليو فابريي . لا أدري إن كنت قد  
سمعت عني أم لم تسمعي ، إنني يا ستيليو ، رسام ! » .

وفي الحال تذكرت رافينا الاسم ولكنها شعرت بعينه بدعدها حين  
تحدثت لتقول له :

« هل تقوم بطلاء البيوت يا سنور ؟ إنه عمل مشرق أظن أن بيوت البحر  
الأبيض التي طليت بالألوان أصبحت شيئا فريدا ، إذ أنها تتجمع جيد مع  
أشعة الشمس والبحر » .

صحك الرسام بمرح وقال : « من العرور أن أدعي بأنني أحطي بشهرة  
كبيرة . أنت العروس الجديدة وسوف تتسحبن بدورك مع أشعة الشمس  
والبحر ، وكان حتى أن تكومي شقرة باردة دب بظفر مائدة ومقلقة » .

قالت بهدوء : « أشي أسفة أن أحبيب تقديرك » ، سبور فابريي » .

قال وهينتا تأسرا عينيها :

« لم يجب ظني بل أعتبر نفسي سعيد الحظ لأن أجد فيك الشخص »

وعندما سار الى حوارها رأت فيه رجلا قوي السنان ولكنه ليس في طول مارك ، وفي لحظة تجسدت فيه صورة رودري وهو يسير الى جوارها .

وحيرا قال لها سيليو : حلقة الصدور التي يتعلق بها أصبع القدم ، هل هي مؤلة ؟ ؟ .

ولوهبة لم يستطع رافيا أن تذكر المعنى الذي يعبه ، ثم عرفت أنه يشير بطريقة مهددة الى الحياة في الجزيرة ، والى كونهما عروسا ترحل مثل مارك ، تتألف عيادها بريق حصر عندما عمرتها أشعة الشمس فتور القناد وهو يتطلع اليها . قالت له : ادا سألتني يا سيور اذ كنت أشعر بالراحة في الكاراكابسي سأحبب عليك بأن الأمر سيستغرق من امرء بعض الوقت حتى يحس بالاستقرار في وطن غريب .

فقال متعمدا : لديك عياد حميتان يا سيورا ، ولكني لا أرى أي هجوم لهما .

سألته : هل تبحث عنها في وضع النهار .. يا سيور .

حين الصمت عنيهم ثم قال : يجب أن تشاركيني صعاء العداء ، ولدي رورق صغير في المياه وراء الصخور ، ولدي سفة وضعت فيها مديرة ميري ألوانا مختلفة من الطعام ، هل ترغين في مشاركتي ؟ ؟

تعلع بصورها الى لسان الأرض الداحل في البحر حيث برز حجاج من الكاراك ، وفكرت رافيا أن دونا حركات تتوقع عودتها لتناول طعام العداء معها في الصانور . وسوف تسألها عن المكان الذي قصت فيه كل فترة الصلاح ، وعن الشخص الذي أمضت معه كل هذا الوقت ، ولما وجدت من الصعوبة أن تلي دعوته لتناول الطعام معه ومع كلبه ، لذلك قالت له :

شكرا ، حفلا لي حائفة ولكن عبور الصريق الى الكاراك يحتاج الى وقت صوب برسام بصره الى البحر ورأى شرات سوافد مسدلة تحول دون دخول شمس الظهيرة الى عرته ، واشرفة المظلة على البحر تترقق الربوات ، ويبدو أن للبحر مطهرا مبيعا ومغرلا ، وكأنه شيد لسعد عه أي طاريء غريب تتمتع ستيليو قائلا : لن يضيئ زوجك اذا ما شاركتني طعام الغداء .

قادت : مارك في رحلة عمل .

فهمت ... ترك عروسه ليلهو قليلا .. ما رأيك ؟ ؟ .

قالت : لا أشعر بأي ضيق . مارك لن يدع عمله يتعدى الى الحضيض

بسي . - وكز ستيليو على أستانه وهو يقول :

يا الهي . لو كان روحك يعالسا يدعك وحدا هكذا . بل سيقصي حياته بصحبتك . لا يفارقك ليل نهار ؟ ؟ .

قالت : ما أربح هذا وأشبهه بالحجر الانفرادي ، إنه السجن .

قال ستيليو وكان صوته اللامبي يرتب بختان على كلماته :

إليك سحابة الحب . لا يسع الرجل العاشق الا ان يقول : اذا لم يكن عدى شيء غير سفة من الورد فإني سوف أقاسمك لياها .

أنت شاعر يا سيور فايبري ، ولكنك بالكاد تتلاءم مع متطلبات الحياة اليومية انا أفضل أن أقسم الرجل طعامه معي . إني جالمة .

قال لها هوسا : أنت تقولين عبارات تكاد تتفق مع تهييب شعرك ، والجواهر التي تتلألأ في عينيك .

يا الشعر يتدد اذا ألقي على مسامع امرأه حائفة . هل لديك قهوة في سلك ؟ ؟

قدم لها يده وهو يقول : دعيا يده وسوف تري .

سلف الصخور ، ويلها حليحا رسي فه ستيليو رورقا صغير في مؤخرته محرك هقل من البروق سفة الطعام ، تحت شجرة ورفة الضلال حسب اتدونه وكان يتكون من اسحق والحجر ، ونجس والريثون وشرائع الليمون . وبعدما فرغ من الأكل احسب بقهوه المكثفة ، واتبعها شعور بالثخمة فطما الراحة وكان الجو باردا حوهم ، بينما كانت أشعة الشمس تبعث الحرارة حارح الرقعة التي جلسا فيها .

قال لها فايبري :

يجب أن تنجي لي الفرصة لرسم صورة لك يا رافينا .

يجب أن استشير مارك في ذلك يا سيور ، لأنه تحدث معي بصدد رسم صورة لي ، لكنني لم أكن شغوفة بالفكرة .

ومال عليها سبيلو يتعرس بحبها ثم سألها : ولم لا ؟ أنت حائفة من فنان ظن سوف يرى أشياء في عينيك تكشف عن امرأة غير سعيدة انت ؟ ؟

ذهب صاعها في الزمن الناعم . وودت أن يقول له بها سعيدة تماما ولكن سيليو راح يرت على يدها . كان صيب القلب متفعها لعواطف الآخرين . ويسررك أن الشقاء جزء من نوبة مما يجعل الناس موضع الاهتمام

وخاصة بالنسبة اليه كفتان .

قال بها « إن الجو يكون أكثر برودة فوق سطح الماء . دعيني أصححك بزروقي في رحلة بحرية . إن زوجك غائب عنك » .

سحبت يدها من تحت يده وقالت :

« وهل تظن إن الفأر من حق أن يلعب في غياب القط ؟ » .

ضحك ستيليو وبصره مصوب نحو شعرها الأحمر ، وقال :

« رافيا إنك لست فأرا . إنك تشبهين لوحة للرسم تتيان حيث تعكس العنان الحيوية والخيال ، أنت تخلفين تماما عن دوناتا » .

سألته « هل كنت تعرفها ؟ » .

شعرت رافيا بأنفاسها تتلاحق وهي تسأله عنها « سرعان ما تمثل أمام عينيها صورة امرأة التي أحبها مارك عندما يبدأ أي شخص الحديث عنها .

أجاب فابريزي « يلتقيت بها في صحيفة مارك في روما ، ولم يكن قد مصى على رواجهما فترة طويلة ، ورسم صديق لي صورهما في مرسمه .

كانت مخلوقا جديدا ذات عيب داكنين ، وفم كالهررة المنفتحة ، وأحسري صديقي بعد أن كان مأجورا بها عندما رسمها ، لأنها تدعوك الى حبها

وهي تعيش قصة حب » .

حفظت رافيا عينيها وكأنها ترى نصوص حمان دوناتا . فسألته

« ما هو الانطباع الذي تركه مارك عليك في ذلك الوقت ؟ » .

قال ستيليو عن عمد « كان في صورة رجل له نهاية مرمية ، وهو جالس في مرسم أرو . وعيناها تشمان الرضا وهو يرتب المسمات

لأخيرة التي يصنعها هناك في صورة دوناتا . أتذكر أنه ورجله كان يعمان بكل شيء يرعاه فيه . الحمام ، الزهور ، الحب ، ولم أتد في صلال بلشقاء

في عينيها أو بادرة تشير الى أنه ورجلته سيواجهان مناه في ذلك السوم » .

بهضت رافينا واثقة على قدميها ، وواحت تقطع الرمل المالح بثوبها القطني وقالت « برك ، لا تقبل المرند عنها ، حذني في الرحلة البحرية ،

أرجوك » .

وقلعا شوطا في عرض البحر حتى وصلوا الى إحدى الجزر الصغيرة . حيث يوجد كهف يمكن للزورق أن يمدح خلاله ، وكانت المياه تحف الزورق

صافية وزرقاء . يمكن من خلالها رؤية لاسماك وهي تقفر كالمهم

ابتسم ستيليو وقال « ها يجب أن أرسم صورتك وأنت حائسة على الصخر مثل حورية تشدو بأعية »

قالت وهي تمت بأصابعها في الماء

« من المعروف أن أشدو بأعية من أعينيات ويلر »

وعندما بدأت تعني ترددت أشدو الأعينيات بين حبات الكهف مما أثار الكلبيو « وراح يسبح سباحا أنه يجب جية ابرلدا التي فقدت عزيزا لديها

فصخر ستيليو صاحك . وبدأ يلقي الحرك ، ويتجه ثانية بالزورق الى عرض البحر . وكانت الشمس قد بدأت في المغرب عندما ألقى الزورق مرصاه تحت المزل ،

واشتعلت الشمس بلهب قرمزي ألقى ظلاله على البحر ، وأحدث سحب الصيف نستكي في الأفق ، وعندما تطلعت رافيا الى معيب الشمس أدركت

عدد الساعات التي أمضتها غائبة عن الكازا .

قال لها ستيليو وهو قابع في زورقه :

« أحب أن أبدأ غدا رسم الخطوط الأولى لصورتك » .

وقفت على الشاطئ ، تلوح له يديها وترسم على شفيتها ابتسامة وهي تقول له « لن أستطيع يجب أن أستاذ مارك أولا » .

سألها ستيليو ساحرا « هل تضمنين دائما لأوامر زوجك ؟ » .

بدأ الحو يميل الى البرودة والمحب تلقي وشاحها على الشمس الغاربة ، وكانت رافيا تدرك أن الكآبة والانقاص قد باتيا مع حتام سجل

قالت له « أنت لا تعرف أن مارك لم يعد لشخص الدي يلتقي به في روما . إن من الكهاسة أن تتحدث معه أولا ... يا ستيليو » .

قال لها « سأنتل لطفك يا رافيا . الوداع »

« وداع يا ستيليو . وداع يا تيو » .

وبردد صباح تيو عبر الماء . بينما أحد صوب المحرك بحفت تدريجيا عندما أحد الزورق يستمدع عن الشاطئ ، وأجيرا جيم صمت . ولكنه صمت لن يطول

أمده بعد لحظات سوف يبدأ المد وتلاطم الأمواج فوق الصخور ، فأدارت رافيا ظهرها للبحر ، وانجذب سيلها الى المزل . ورعى الليل سدوله ،

فأصفت مصابيح بال السماء ، ودلعت الى المزل على أمل أن تتحب لقاء دوبا حواكاستا ، ولكن السيدة المنجور كانت تجلس على مقعدها بحوار المدفأة

وقدماها الصغيران تستريحان فوق المقعد الصغير . وعيناها الحادان تتطلعان

منى عقارب الساعة التي تشير إلى الوقت الذي عادت فيه العروس الهاربة  
سألتها : « أين كنت طوال اليوم ؟ » .

أجابت : « على الشاطئ » .

كانت رافينا تقف وسط انصافه تقوامها لتجول وشعرها لمشتت ونوبها  
المعص ودرات الرمل عاتقة بأضواءه وحسب أنها صمسة أمام الجدة . فإودتها  
الرعة في العز . ولكن هروبها كان يديها بأرباب حريمه ، وهي لا تشعر  
بأى حرم في مصبه الساعاء بصحة سنيو فابري ، فقد ساعدها على أن  
تخفف من ألم بعادها عن وطنها ، وهي محتقة له .

فالت بجدده : « يا ليتنا قابلت لك في صحة ربح أرستها للحدث  
علك ، ما قولك ؟ » .

قالت رافينا بصوت يشوبه التحدى : « يا ليتنا نتمتع بحدثة البصر ،  
التقيت على الشاطئ بصلديق لمارك هو سنيو فابري » .

التفتت دواحو كاسنا أعفاسها وقالت مسائلة : « العا ؟ » .

أجابت رافينا : « أجل » .

« كل الفانلون مرحول ولكنهم أشرار مع ذلك أمصيب يوم كنه معه ؟ »

قالت رافينا : « أغلب اليوم ... وبصحة كنه » .

ثم اتجهت لترنقي درحات السلم وهي تقول

« إنني متسقة ، وأرغب في الاستحمام » .

قالت السيدة العجوز : « لحظة أرجوك .. » .

فاستدارت رافينا طالعة : « هل ترى هذا الرجل مره أخرى ؟ »

قالت رافينا وقد شاب الغضب صوته : « أنا لست مثلك يا دوا  
جوكاستا . ليس لي وسلك أن تمنعيني من إقامة أية صداقة مع أحد أو بصي  
نفسك تبتنا علي بمجرد أن مارك غائب عن البيت منذ أيام . إنني لن أنصاع  
لأمرك » .

« ماركوس تركك في رعائتي » .

« هل طلب منك حسي في الرح ، و أنتصير معامي على قطعة حر  
وماء ؟ حسب ، من أبوي أن أكون سبعة في هذا السب المطلع سأؤخره عدا  
إلى الشاطئ ، وأرجو أن أجد سبور فابري هناك . به يصحبك دائما يا  
سيورا . إنه ممتنيء بالحياة ويتطلع إلى المستقبل ، ولا يعيش في الماضي كل

وقته ... وأحدث رافينا برنقي الذرجات بسرعة ، وعبرت البهو إلى الفسحة  
المؤدية إلى برج العارس . حيث كانت وجنتها ساحتين ، وقلها يندق دقات  
ملاحقه ، وشعرت أنها تذكره مارك لأنه أصغر أرومه للتجسس عليها كما  
تكره هذا السب ، لذا قررت . أن يقضي اليوم بطوله عدا في أحضان الشمس  
الريح .. وفي صحه سنيو »

\* \* \*

## ٥ - أصدقاء أم عشاق ؟

شعرت رافينا بإجهاذ في اليوم الذي أمضته على الشاطئ ، لذلك استيقظت اليوم مبكراً في ساعة متأخرة من ليلها ، ورأت أشعة الشمس تملأ غرفتها ، وأدركت أنها نام فترة طويلة . حسنت على العروس فوجدت صفة بحور السرير ، وصحتها على ركبتيها وصحت فحشا من القهوة ، وأكثت لمربي والبيض بشهوة . وأحست أن النهار ملك لها ، تفعل ما تشاء ، فإن دوناجو كاستا لم تستطع أن تجعلها سجينه غرفتها .

وبعد انقضاء ساعة ، اختلست رافينا وعقمت شعرها في تصفيفة فحل الحصار ، وارتدت بلورة وسروالا فبدت أكثر شباباً ، وعندما بطلت إلى ليرة نوادر إلى دهبها صوره دوناتا المعلقة في برج المادونا ، وبكرت ما قاله لها ستيوفانيري عن مارك عندما التقى به في روما منذ سب سواب . كان بهي الطلعة ، سعيداً ، بلا ظلال شقاء في عينيه .

راودتها الرغبة في أن تشاهد الصورة إلا فل أن تذهب إلى الشاطئ . وأسرعت بفتح باب غرفتها ، فلم تجد أحد فالحتم مهمكوب في نصف وليمين الدور لسمعي ، ولما تخفي عرف بدور العلوي بالأهصام إلا في ساعة متأخرة من النهار وهذا يتيح لها فرصة للتسلل إلى برج المادونا دون أن يلاحظها أحد . انسلت من باب صغير في جناز برج الفارس ووجدت نفسها أمام حشر حجرى صغير يربط بين البرجين ، وكان برج المادونا يشبه برج العروس في تصميمه ، فعثرت على باب صغير في الجدار قادها إلى محر معتم يتسلل إليه البور صعيماً من نافذة صيقة ، وكانت تعرفه لتي عاش فيها مارك مع دوناتا لا تختلف عن غرفة العروس التي يشغلها الآن مع رافينا .

كانت غرفة دوناتا نكسوها الكربة ، وسرار الماصي فسحت ربه أثنائها وتحتها ، واستائر لسدة مطوي البهيماء التي درت بين الجدران والسجدة

صامتة صمت الدحال وهو يسعى هادئاً وانحطاط يحمل صورة العتاة التي عددها مارك . لم تستطع رافينا أن تدرك ملامح روجة مارك الأولى أو الثياب التي ترتديها وكانت الشمعدنت مطفأة وهي قابعة تحت البوابة ، وإلى جوارها غلب الثقب وتشير إلى أن شخصاً ما يأتي بين حين وآخر ليشعلها ويقوم بتأمل البوابة وسط السكون الهامس الذي يشيع في أرجاء العتاة . أشعلت رافينا الشموع فألقت بأصواتها على الصورة ، فرأت الثوب الذي يرتديه دوناتا . كان يمثل عصر مبدئي ، وقد هبط في ثياب رقيقة فأبرز فؤادها السجلى . وتناثرت الألياء على شعرها الأسود وصعوف أخرى منها تحيط بعنقها الأبيض الطويل . من المجهول يتأمل المرء صورها بقدر أنه لفقدتها .

حملت رافينا شمعلتان ، وأحست أنها فقدت الاحساس بالزمن عندما راحت تتأمل العتاة التي سمحت مارك بعمة المرح لمرحاة أن أية امرأة لم تستطع أن تشمل بعد رحيلها مكانها في قلبه أو عقله أو أحاسيسه . كانت تبدو شابة ومارك في العشرين عند زواجهما . كانت دوناتا هبة من السماء .

التقى عصر رافينا بصبي دوناتا ، وهي لحظة رأته فيهما الحيوية والوعي والعداء بها . ووجهة سرى تيار من الهواء أصعاً الذهب المشتعل في الشمعة فتراقصت اضلال في العتاة ، وعندئذ انتبهت دعر شديد . فأسرعت إلى الباب سعي الهروب ، وعاجبت القمص يميناً ويساراً ، ولكن الباب كان مغلقاً بل موصداً وقب رافينا مذهولة ، ولم تصدق أنها أصبحت سجينه البرج ، وأن أحدهم سئل عن أمر النصب ، وأغلق الأبواب وراءه وهو يعرف أنها هه وحدها مع الصورة . تملكها العصب وراحت تدق الباب بقبضة يدها مرة ومرتين حتى أدركت ألا جدوى من محاولاتها ، وأنها أصبحت سجينه لأحد صبيين : إما لما قمتها على ما فعلته بالأمس أو بهدف إرهابها .

أدارت ظهرها للباب وأسرعت إلى أقرب نافذة وأزاحت الستارة جانباً ، وفتحت مصراعها فأصت برأسها وحدت المسافة طويلة بين البرج وفاء البيت الواقع تحتها . كانت عيناها الحريتان وشعرها المسند يوحان بأنها حورية سجينه البرج منذ مدة طويلة ، ولكنها تحدث عن طريقة للهروب أو فارس يسرع إلى إنقاذها ولكن بس من مبدد . كان انصاء شاعر ولعنان في حدائق السموم محتضن وراء الأشجار وكانت الريح تهب حول البرج . وصحاب الضيور أنه بصرحات المعربة ، لديها أحصاة بغير بها كما تشاء ،

أما هي فسجنت هنا حتى يأتي أحدهم ليطلق سراحها .

دوبحو كاستا سجنها هنا ، أو أرسلت بانستيا المطبعة لتمعن ذلك ، إنها طل سيدتها التي لا تمارقها ، وهي عجوز الآن ونحشي أن يعطي الأمر حتى لا تلفقد عملها في هذا البيت . سرت قشعريرة باردة في جسم رافينا ، ولا يدري كم من لوقت مضى عليها وهي سجنية ولا بد أن تمر ساعات طويلة قبل أن تتفق دوبحو كاستا سراحها من السرح ، إنه مجرد درس تنفيه على عروس مارك لأنها تجرأت وتحدثت إلى رجل ، وتحدثها بعزمها على مغالته ثانية . تطلعت إلى جدران عليها نسيج سردبي مربيا ، لاشك أن هذه العكرو محتملة . قدديما في عصر عراب لفرصنة كان الإنسان يمشي بيته بحيث يصمم عرف سرية فيه محتى أسره أو يسي سرفاها يساعدها على الهروب إذا ما فكر المهجرون في اقتحام البيت ، وشرعت رافينا في المطرق على أماكن متفرقة من الجدران ولكن لم تكن هناك أية إمكانية لطرقها أو يدور أى إطار نارر ليفتح لها سرفاها يساعدها على الهروب من الجدران السمكة .

دارت بعينها في أرجاء الغرفة ووقع بصرها على المرأة فرأت نفسها تردي لسروال وانقميص نصيباني ، فهم يصدق أنها روحه مارك وبدا لها أن دوبانا مارلت تحتل مكانها كبدي القصر ، أما لصورة التي يمسكها المرأة فهي لا تبدو أن تكون صورة طعنة نقيية ، وقد قال لها مارك ذات يوم وهما بعدوان رافيهول : أنت ترتدين ثياب صبي وأنا أتوقع أن أتزوج امرأة .

أدارت بأصابعها حاتمها الذهبي الذي يدل على رواجها وعدت تتحول في الغرفة حتى وقفت أمام البافدة حيث وجدت فيها صورة عميقة فتمت فيها كما يقع القط المنعطر قلبه ، وبذبت السماء الزرقاء سائجة وأسحار السرو داكنة وهي تنبع عن السماء . كان الصباح جميلا ، ولكن رافينا صمكت لأنها احتفظت بهذه الطريقة العريية في خلال هذه الساعة المشمسة التي كان من المنتظر أن تقصصها مع شنيو دابريري وكنت نيو ، ولابد أنه حدث انشائيء بأنها لا تتمتع بالحرية التي يسع لها أن تنضم إليه في الخاصي وتمعن مرحلة بحرية ولا يدري أن الأبواب أوصدت عليها وأصبحت سجنية

فكرت في حاردي الذي يعتقد الآن أنها معده عندما يتلو رسائلها التي سلمها الآن منها ، ولكن أى معاده تكسب هي عها ؟ كيف تجدها في مثل هذا البيت المسكون بالفتاة العاتية دوبانا ، وتحكمه سيده عجوز كانت ترغب

أن يتروح حفيدها بعثا من إختيارها . شرعت رافينا بوطأة السكون والوحده تختم على صدرها ، وبحوف مفاجيء من أن يمضي مارك عاثيا بمده أيام فتع تحت رحمة نصراف شاده أخرى ، ومريد من المؤامرات التي تشط من روحها ، وتصبح في النهاية ظلا مطعيا مثل بابيتستا . عتذلة صرخت قائلة : « لا » . وجرت نحو الباب لتتس ما إذا كان مفتوحا أم ماربلا معلقا ، ولكنها وجدت موصدا ، وشرعت برعة في النكاء وبلعت ريقها ، وحاولت أن تعزي نفسها بأن دوباحو كاستا سوف يطلق سراحها حين موعده طعام الغداء ، ولي يكون قاسية فتدعها سجنية حتى يحل الظلام وتسمع عيق اليوم أحدثت وسادة من أحد المقاعد وأرالت عبار عها وهياتها بحيث يستطيع أن تعمص عها عليها ، وتعود القهقري إلى رافيهول أحل هناك حيث يوجد شجرة الدردار . والأروحة التي سقطت منها يوم أن دفعها رودري غالبا ، وأحست بالسعادة عندما طارت عالية ، والحواف بعمرها ، وصاحب به صاحكة . كفى . ولكن رودري لم يأخذ بصيحبها وواصل دفع الأروحة حتى سقطت منها وسمعت صوتا يقول : رافينا .

أحست بعزع وشرعت بكلم في دراعها فقالت : « أو رودري .. » .

أباحت اليد فجأة من فوق شعرها بعف ، واستيقظت تماما وهي فرعة عذبة رأت أن الشخص المائل أمامها كان مارك وأن الألم الذي أحست به كان نتيجة ضغط كتفها فوق سور النافذة قالت بدهشة :

« مارك ؟ » .

قال : « أنا أسف لإزعاج أحلامك الجميلة » .

دعكت رافينا ذراعها المخذرة وأحست بدوار قليل :

« قد .. لقد .. أغلظت إلى اليوم » .

سألها : « ماذا تفعلين هنا ؟ » .

أحست بعينه تتألال شعرها ، وسرواها لصيباني ، وشعرت برودة سري في أوصالها . قالت له :

« أريد أخدمك الياب عني مد ساعات مضت . حدثت فعلت ذلك يا مارك أنا أعرفه هنا تماما » .

قال متحججا : « أوصدت عليك الباب » الباب كان مفتوحا وفي سمك أن تتأكدتي بصمت . لماذا تتوهمين أن حدي تفعل مثل هذا الأمر معك ؟



قالت : « أنا لا أتوهم شيئا . إن دوناجوكاستا تكرهني وتريد أن تخيفني »  
 بدت الدهشة وعدم تصديق كلامها على وجهه . سألتها  
 « أعتقد أنك أتيت الى هنا من قبيل حب الاستطلاع . لم نعد نستخدم  
 هذه الغرف فأصبحت أقفالها صدئة » .  
 « أوصدوا الأبواب علي ، وقرعت ، ولكنها لم تفتح » .  
 سألتها : « ولكن أين كان المفتاح ؟ » .  
 « كل مفاتيح البيت مع دوناجوكاستا . أخبرتني ليلة أمس أنها بحوزتها  
 ، وأنها لن تعهد بها لأحد » .  
 « هل سألتها عنها ؟ » .  
 تنهدت رافينا وقالت : « بالطبع لم أسألك . لم تتشاجر بسبب ادارة الكازا  
 وانما .. » .

« اذن أخبريني عن سبب المشاجرة ؟ » .  
 « ذهبت الى الشاطيء وكنت أنوي الذهاب اليوم أيضا . هناك قابلت  
 ستيليو فابريزي ، وأخذني في زورقه وقمنا برحلة بحرية ، وعندما عدت الى  
 المنزل سألتني جدتك أين كنت ، ولما أخبرتها أمرتني ألا أرى سنيور فابريزي  
 مرة ثانية ، وظننت أنها شخص دكتاتوري فقلت لها بأنها لا تستطيع أن  
 تمنعني من أن أعقد صداقات مع الآخرين . وهذا الصباح لابد أنها رأنتني أعبر  
 الجسر المؤدي الى برج المادونا ، وأنا واثقة تماما أنها أمرت بابتيستا أن توصل  
 الباب علي ، حتى لا أستطيع أن أذهب الى الشاطيء » .  
 « وهل أعددت الأمر لمقابلة فابريزي هذا اليوم ؟ » .

ووقع السؤال عليها مثل لسعة السوط وتذكرت أن الشخص الذي تتحدث  
 اليه هو زوجها ، وأن من حقه أن يعترض بشدة على أي تقييم أية صداقة مع  
 الفنان الجذاب ، قالت بصوت مرتجف :  
 « أخبرني أنه يريد أن يرسم رسوما تخطيطية لصورتني فقلت له يجب أن  
 يسألك أولا » .

أحكم مارك قبضته وضغط بها على راسها وبدأت الجهامة تزول تدريجيا  
 من وجهه وقال : « أنا ممتن أنك مازلت تتذكرين وجودي . سوف لا أغضب  
 منك فأنت جديدة على أساليب معيشتنا وتعتبرينها قيدا على حريتك » .  
 « أعتقد أن حبسي في البرج يعد قيدا على حريتي » .

« لانونا واحدة من أهالي سردينيا ومن المحتمل أنها ظنت بأن ما تفعله هو  
 تأمين لسلامتك » .

« مارك .. هل من المعقول أن أعامل معاملة الطفل العاق لمجرد أنني  
 تناولت السجق والجبن مع سنيور فابريزي » .

« أنت لست طفلة في نظر جدتي ، أنت امرأة بل زوجتي وأهل الجزيرة  
 يعتبرون لقاء رجل بامرأة وحدهما انما لغرض واحد هو أن يمارسا الحب ! » .

« مارك هذا كلام غريب ! في وطني يمكن للرجال والنساء أن يكونوا  
 أصدقاء دون أن يكونوا عشاقا » .  
 « أنت الآن هنا في وطنك يا رافينا ! » .

استدت قبضة يده واقترب منها وهو ينظر الى عينيها مليا ورفع رأسها بيده  
 الأخرى حتى تألق احمرار شعرها في ضوء الشمس الذي تسرب خلال النافذة  
 « هل لي أن أذكرك بأن من حقي أن أكون الرجل الوحيد الذي يحتل  
 كل تفكيرك ؟ هل جئت هنا لرؤية الصورة المعلقة على الجدران ؟ وهل  
 كانت تحذوك الرغبة في معرفة ما اذا كانت دوناتا أجمل وأدفا وأكثر أنوثة  
 منك ؟ » . ثم أضاف : « سأطلب من فابريزي أن يرسمك ، عرفته في روما  
 قبل أن يصبح مشهورا في دنيا الفن . طبعاً أخبرك بأننا التقينا هناك » .  
 « أجل يا مارك أنزلني من فوق ذراعيك ، أشعر بدوار وأنا أنظر حولي دون  
 أن أتعلق بسور الجسر » .

« تعلقني بي - ضعي ذراعك حول عنقي أيتها الساحرة الباردة » .  
 ضحك مارك وترددت ضحكته في كبرياء وهما يسيران فوق الجسر ، أنه  
 رجل قوي وقاس لايلين مثل الأرض التي يمتلكها ولا تستسلم بسهولة لليد  
 التي تحرنها . وحتى هذه اللحظة كانت رافينا تحس بالخجل من أن تلمسه  
 وتمنت أن يدعها تقف على قدميها وهي تشعر بقناة الصلب الدافئ حينما  
 رأت شخصا يقف تحت المنزل ينظر اليهما فقالت :

« مارك أنظر سنيور فابريزي يتطلع إلينا » .

« كان ستيليو يلوح لهما وشعرت بنفسها تتحرر من ذراعيه وهي تقول :  
 « يجب علي أن أذهب لأغير ملابسي وسوف زنضم إليكم » .

« وأسرعت تعبر الجسر وتدخل الى برج الفارس ، وأحست بالراحة عندما



وحدث نفسها وحيدة في عرقتها ، وحديث حل لجرس لتستدعي الخادم ، وسألته أن يحضر لها ماء ساخن ، وتجنبت أن تشارك لم يمد يده بأناب لمباة ساحه ، وسوف نتحدث معه في هذا الأمر ، وأجملت عندما مدت يدها الي نفسها كروحة ، وأن من حقها أن يعللي عليها طلفانه . عاد مارك الى البيت ، وفي هذه الليلة سيحاول أن يوقظها ، ليس من أجل أن تستجيب لهذا الحذر العريب الجامح الذي سمي له حب وانما لتستجيب لهذا الجوع الذي يعرهد في أعماقه وتكون ثمرته فليلا جليدا تلده له .

أحضر الخادم الماء بضعاص منه الحار ، وعندما حرج فصت ثيابها وراء الستائر وعست جسمها لتجلى وتخلص من التراب وأحاطت جسمها بفوفة ثم سارت الى حزامتها لتتقي أحد الأتواب ، لا بد أن ستيديو سيقى ليحشي ثرابيا مع مارك وأن يتبادل الرأي حول موضوع الصورة ، وتحديد موعد العلقات التي تقع فيها أمام لفاف ، كات برع في أن تظهر على لوحة العفشان في صورة أبيه من صورة دوناتا حتى تثير اعجاب الجميع بها ابتمت رافينا وهي تتطلع الى نفسها في المرآة وراء نافس طوليتين وحشيتين وقذمين بأصابع طفل ، ودراعي لهما استدارة محنة وحصلاب شعرها الأحمر تسيل مثل دوائب الذهب فوق كتفها الشاحس . سمع صوتا يأتيها من خلفها يقول :

« يا للأسف ، إني لا أسمع برسلك في مثل هذا الموضع الذي أراه »

سرت قشعريرة في أوصالها بينما كان مارك يحقد رباط خضف عند باب الفرفة ، فهو الشخص الوحيد الذي يحق له التطلع إليها ، هي في عرفة نومها قال لها : « دهوت فابريزي لتناول طعام العشاء معا » .

قالت : « هذا شيء جميل » . وأمسكت بثوب أصفر اللون وكمام من الشيفون ، وكان مارك اقترب من المرأة ليثبت رباط عنقه فسألها :

« هل تحبين احشاء الشراب في الشرفة المطللة على البحر ؟ » . ثم تحول لمواجهتها ، وأجملت كما دأبت من عهدها انماها التي تلتأ في عيبه ، ووسمت بتسامه على شفتيها حتى يحسب اجعلها ، وقالت له : « وشيئا لأكفه إني لا أستطيع أن أبقي بدون أكل حتى موعد تناول

العشاء . يكاد يغمى علي . » .

ضناقت عيناه وهو يسألها : « ألم تتناولني طعام العشاء ؟ » .

قالت وهي ضحك : « أحتركت أن احدهم أوصد بيب علي وأنا في البرج ، ولم يكلف نفسه حتى تقديم كسرة من الحيز أر كويا من الماء » . تقدم نحوها في خطوة حازمة وقال : « رافينا أنا أسف أن نفوتك وجبة طعام الدمد وهذه تجربه فخره للأعصاب ولئى تحدث ثانية . سوف أتحدث الي حذني بقسوة » .

هرب رافينا به ودانت : « لا يا مارك سوف يزيد ذلك من عداوتها لي اذا ما تحدثت معها صف » .

تخهم وهو يقول : « عداوتها ؟ هل تظنين الأمر كذلك ؟ »

قالت رافينا : « وماذا يكون الأمر غير ذلك ؟ كالت ترغب في أن تتزوج فتاه من سات سردينيا بدلا من أن تأتي بفتاة غريبة ، ربما فطنت أن زواجنا يا مارك لا يقوم على الحب » .

حدث في وجهها وارتفع حشاه قرب فيه الرجل الذي أحضرها على الزواج دول أن تنمو بكلمة رفيقه وحديث نفسها منه وخول عه لتأخذ نوبا وسألته : « كيف عرفت أنني في البرج الآخر ؟ » .

قال : « الستائر كانت مفتوحة . كان يجزر بك ألا تنهني الى هناك . المعروف كلها كتيه وحب أن تغل معلقة سألتني بعرض عليها » .

وهي اللحنة التالية عادر الفرفة بسرعه تاركا رافينا وراءه ويريدني لوبها وضعف شعرها في شيفون وكانت فتحة الثوب تمتد ما بين كتفيها شبر مصاره بشرها ، وعطمتي ارتقوه وراحت تلمس نفسها في المرآة وقررت أن تزين صدرها بالصليب الذي أهدها اباهها مارك . تحول رافينا عن امرآة لأنها رأت نفسها في صورة فتاه أنشه معها بالمرآة الناصحة التي يبحث عنها مارك والآلم التي نهض الطفل الذي يوق الي رؤيته ليحمو من ذكره ذكرى لطفل الذي فسد بقسوة . قل ستيديو وعنى شفتيه اتسامه ثم قل بد رافينا وقال لها الفتيان الثانية يا مادونا والسنير زوجك أدن لي برسم صورتك ولا أستطيع الانتظار صويلا .

حيا ستيديو مارك بابتسامة سريعة ثم قدم مارك مقعدا لرافينا لتجلس عليه بالقرب من أرهاا البرتقال التي كست جدار الشرفة المطللة على الشاطيء قال

أفنان : لبس المسبورا موضوعا يسهر إبراره على النوبة ولكي أستمتع بالتحدث .

سأله مارك : لماذا لا تجدها موضوعا سهلا ؟ .

ثم راح يتأمل مليا ثوبها الأصفر ويقارنه بلون نيتة المرتفال المربعت وأشعة الشمس لحمرء التي عسكر على شعرها ثم أورد يقول

« يبدو لي أن روحي لديها ألوان التي تخور أعجاب العنان نيتيا ؟ »

قال ستيليو مؤيدا : نعم كما نقول . العيان تتجبرك من حصره البحر إلى لون شحال العناية العاصمة تعد لتعبر مراح صاحتهم .

« أعذك بأن أظل في وضعي ساكنة كلما جلست أمامك يا ستيليو . »

وشمرت بالحجر من لطيفة التي تناقش بها موضوع رسمها ، وأصب بالارتياح عندما صهر ريسيو حاملا صبيبه عليها المشروبات والسدوشات وهي أعفاه بيسر الظني بامر فأقلت عليه رافيا بعرج شديد . قال ريسيو معتبرا

« ظن نفسه كلنا كبيرا يا ستيليو ، فاقفني خطاي هل أعود به إلى الأسطبل ؟ »

انهمست رافينا ورفت على أذني الظني وقالت :

« دعه لي يا ريسيو انه جذاب ليس كذلك ؟ »

قال مارك : لا بمسكك أنت تتدأبي السدوشات والظني في حرك . انظري انه يهلك أنه في شرك .

أشارت رافينا بأصبعها إلى الظني تحذره قائلا : « اهلا . »

ثم التفتت إلى مارك وقالت : « سيكون رائعا متأنقا مثل الذهب »

قدم مارك بها طبقا عليه السدوشات ثم البست إلى ستيليو وقال

« هل تشرب كأسا يا ستيليو فايرزي ؟ »

قال ستيليو وهو ينقل الكأس : « شكر »

ثم تطلع إلى رافينا والظني وأردف قائلا :

« وجدت الآن فكرة لصورة التي سأرسمها لك بيسما الظني . بقع في حبرك أو ربما أدعه يبقى تحت قدميك . »

« هنا اذا جلس خرة طويلة ساكنا . ألا تشاؤكنتي تناول السدوشات ، انها لذيذة ؟ »

كان مارك عرقا في مقدمه ممسك كأسه وهو رأسه بالرفص بيسما استد

ستيليو يظهره إلى حائط الشرفة والقلق يتراقص في عييه ويخدوه الرعة لأن يدر العمل على قصار الرسم ويقول لسمه . « إنها فتاة جديده كأني فتاة ابطالية . ولا أحد صوء البحر وهو يبعث أشعه على الشرفة ، في هذه اللحظة من وقت الزصيل . قال :

« هل تأذن لي يا ستيليو بأن أرسم الصورة هنا في الشرفة . أحسن أن السماء والجبال تمثلان أروع حلقة لصورة رافينا ! »

تطلع مارك بيسه إلى رافينا وقال

« يعجبي ثوبك يا رافينا . هل يمكنك ارتدؤه عند رسم صورتك ؟ »

« كما نشاء يا مارك . »

قال ستيليو مقترحا : « وشعرها مسترسل وقد تطاير قليلا في مهب الريح »

راحت رافينا تراقب الشمس وهي تحترق في الأفق ، وبعد قليل اقترحت الدجول إلى البيت فقد أحست بالبرودة تتبع في الجو .. قال ستيليو :

« لا شك أنت تعرضت لرياح الجبل بعدما غابت الشمس »

قالت رافينا : « هناك نار في مدفأة الصالون »

حسب رافيا الظني وساروا جميعا إلى الداخل وكانت ترحو ألا تشاركهم دواحو كانتا طعم . لعناء وتحقققت أميتها وأملت بهيتت وقدمت ورقه مارك

ثم عاذرت المكان ، فرأها تنحبه ثم أنق بها في النار . وسأل رافيا وصبيبه أن يسمح له بالانصراف لعدة دقائق . وحجم انصفت على الصالون لمدة وحيرة

قطعه صوت تكسر الخشب المحترق في المدفأة . سألهما ستيليو :

« كيف سير أمورك مع السدوشا لعجوز ؟ »

بصره امه رافينا تأمل وقال : « انها لا تسير سيرا طيبا . أصيبت بخيبة أمل عندما تزوج مارك بأجنية ، أظن أنها كانت تعبد دوناتا وهي دائما تعقد مقارنة بيني وبينها . »

قال ستيليو بهدوء : « ليست هناك أية معذرة . »

ركعت رافينا على ركبتيها فوق السجادة ومددت يدها تلمس الذئف من بار المدفأة وقال : « أعرف ذلك . كانت دوناتا جميلة كما أنها كانت تتعبد بكل أسباب الكياسه . »

ساعدها ستيليو على الوقوف على قدميها وراح يتأملها على صوء الذهب

ثم قال لها : لكنت تتمتعين بجمال الروح يا رافيا في كمال القياس  
ولديت جمال الجسم .  
قلت : متيليو ش .

وحدثت نفسها من يديه مدعوره . كانت تحتضن ظهور مارك المعاجي  
فيراها على مقربة من الفنان المليح وأردفت تقول :  
« أريد أن تكون أصدقاء ومن المستحيل أن تنموه بمثل هذه العبارات التي  
لا يجها مارك » .

قال بهمس : « هل أنظاها بعلم وجود أمس ، فيه رأيتك أسعد حالا من  
اليوم ؟ » هل تشعرون بالسعادة عندما يهيب زوجك عن البيت ؟ وأحسنت  
أنه يطور الحقيقة فقات له « ليس من حدث أن تغرب أشياء مثل هذه . لقد  
سألت مارك أن ترسم لي صورة لا أن تقوم بدور محل نفسي لي » .

« الفنان يعلم قراءة لغة العيون ، والعيون مازلة تطل على الروح . كم  
تمتعت أن تكون دروبا الفتى قل أن يطور مارك باب حياتك . أطل يا مادونا  
أنا ، أنت وأنا كنا نمتع على السبي الكثير الذي نمتع به سوا » .

قلت بحزم : « أعفد أنت تجاررت حدود كرم مارك أن ليس واحد من  
رأيتك التي سنهوبها معارلة هناك ميعج الوجه مثلك وأهل من لأفضل أن  
بلمي حليسات »

قال بهدوء : « أطل أنك ستندمين » .

« أنتم ؟ ماذا نقصد ؟ » .

« أعفد أنك بحاجة إلى صديق ، ولم أترضى أبدا أنك ستشعر واحدة  
من النساء الأغريات اللواتي جلسن أمامي . أن سعادتي تبلغ درجة عالية  
عندما يقوم فابريزي برسم صورة لهن ، ومغازلتي لهن ترصني عزري . أما  
أنت فشخصية مختلفة تماما . أنا معجب بك **لديك** أرسم صورتك لأنك  
صورة للتعدي ، وأدهشتني كثيرا عندما سألت نفسي هل في راسي أن أنقل  
إلى الشماش هذه لسحر لدي راء في عيني ، وجوهر الحزن لدى شوبههما  
وهل يمكن أن يكون الأمر غير ذلك وأن شابة تعيش مع زوجها وشرا كهما  
الحياة شيخ امرأة أخرى » .

ونصنع كن واحد منهما أني لآخر جيما فحدث نوحه بهيب انار وكشف  
لها الحقيقة وصحة محاولت رافيا أن تدو مثل لمصيفة المحورة سبتها قالت

له : « هذه الترفة جميلة ليس كذلك ؟ » .

وراحا يتبادلان الرأي حول النقوش المرسومة على السقف ، عندما رأيت  
مارك يسل عليها ، وشاهدت مسحة من التجه ترتسم على جبينه وأدركت أن  
دورا حوكانتا بعثت الصيق في نفسه ولكنه سرعان ما تنحصر من مزاجه  
المحرف ، وبدا حذبا وهم يتناولون الطعام ، وحاول أن يذكر رافيا كيف  
استطاع أن يجذب إليه حاردي عندما كانا يتناولان الطعام في رافيهول ، وراح  
يسرد عليهما قصص طريفة شاعت في نفسها الصحت ، وجعلها تسمى  
بدوره الخفية هذا لها مازحا . أجبت رافيا بعث بأصبعها فوق حافة الكأس ،  
ولاح لها أن هذه العرفة الكثيرة لم تشهد منذ فترة طويلة صحبات مجلدة  
كما تشهد الآن ستيليو وهو يصحك بحر . كان في صحبه حذبا تتلأ  
أساءه وحده بشره الإهتائية وعينها أن تكون حريضة في الأيام المغلة على ألا  
تظهر أحداها للرحل الذي ستمضي معه في الشرفة أصيل كل يوم . استعد  
ستيليو للرحيل فقالت له رافيا :

« احضر معك ثوب سيفتلك كثيرا بحضورك وحلك هنا » .

وحده ستيليو حديثه مارك قائلا : « روحتك يا سبور تتمتع بقب حول .  
إنها تفكر أبف في كسي الضمير . سأحصره معي أحيانا ، بعد ذلك » .

قال مارك : « طبعاً » .

ثم وضع يده حول خصر رافيا وسقط نور مصابيح الباب فوقهما بينما  
كانا متسلو ستمتد للجلوس وراء عذبه القياده فالتفت إليهما وقال : « وداعاً »  
وكان الليل ينضض بالحياة ، بصوت محرك سيارته ولكن الصمت حيم  
على الكون بعد . حله كان الليل ساكناً لا من هصر حافت يجرب بين  
أنشجار السر . ويصر حفيف يمت من الزهور غامضة التي تتبدل من الملون  
الزرق إلى اللون الأبيض ، عندما يرخي الليل سدوله .

تصمت مارك قائلا : « الزهور مثل أنكرا تبهر مع مجيء الليل أنت صامتة  
يا رافيا وهذا يدعوني إلى معرفة أفكارك » .

قالت : « أنا . أنا أرجو أن تكون لأمر قد استقرت في المصنع » .

« أجل .. انتهينا من موضوع الآلة الجديدة . بعض العمال يشكون من  
الآلات الجديدة . ألم يقل لك أن أهالي سرديبا يتمسكون دائما بالآليات  
القديمية ؟ »

أصاب ربيب الثور عندما شعرت بيده تلمس شعرها ، فقالت :

« مارك .. أرجو ألا يكون قد نشب جدال بينك وبين جدتك ! » .

أجابها صاحبها « هل تصورين أنا لم نبادل الكلمات من قبل ، إنا نتميز بالعزيمة القوية ، وبالطبع لا بد من الجدل ، كل ما مولع بالاحر وسرعان ما نسى وبسر . أخرجتها بأن سيور فايرى سيأتي الى ها كل يوم ليقوم برسمك فاتهمني بالحقاقة وسألتي أن أعهد برسمك الى هناك أمل شيئا وجاذبية من ستيليو » .

وبحركة سريعة أدار جسم رافيا حتى واجهته وأحاط حصنها بدراعيه وقال « إن شرف بيت السردى يقوم على طريقة محافظته على زوجته » .

قالت « لم رحد مثقة في فهمك ولكن ماذا تفعل لو أنسي حثك هذا اذا اكتشفت الأمر بنفسك ؟ » .

وبالأول نور الصباح في عيبه السوداوين وهما تتطلعان الى عيبيها ورأت في أغوارهما شيئا يخيفه ، قال بهلوه :

« اذا تجاوز رحل حدوده معك سأحطمه سيقعد كل شيء نعيش لديه »

تطلعت رافيا الى وجه مارك ورأت نور المصباح يكشف الدوب العثرة على صفحته والقسوة في كلماته ، فتراجعت الى الوراء وأحست سروده كيانها ومحصرة عيبيها تخفق عبر رموشها . سألته :

« هل يدخل البيت ؟ » .

قال « أجل » .

دخل البيت وأوصد الباب الكبير وراءه لم أمست يدها وسارا عبر المصالة التي تؤدي الى السلم فأحست بيده دافئة وقوية وهما يرتفبان الدرجات ، وتذكرت اللبنة التي حجمها فيها مارك الى برج العوس والعصب يمح في أعماقه ، أما هذه الليلة فإن مزاجه يبدو أرق وهو عكس يدها ، كأنه يحثي أن تهرب منه .

\*\*\*

## ٦ - أدونيس جواد أسود

وعد مارك رافيا أن يقدم لها جوادا يكون ملكا لها تمتطيها وقتما تشاء ، واختار لها مهنرا أعر ، أبوه ذو فحولة يركض بجثون عبر نلال سردنيا وكان المهنر رقيقا ، استطاع أن يربط أواصر الصداقة بينه وبين رافيا . وكان ردوبيس الأسود هو الجواد المفضل عند مارك ، ودات صباح هبطت رافيا الى الأسطبلات لتتفرع مع المهنر ، وعلمت من صبي السائس أن أدونيس قد ألقى بصاحبه السابق زوسا ، ووطنه بحوافره . قال الصبي موضحا :

« أدونيس يحب ألا يضره أحد بالسوط . ومارك لا يحمل أي سوط ، ولهذا كان الجواد زليفا معه » .

وفعت رافيا على بان حصىرة أدونيس تحمل قطعة من السكر في راسحتها وأشاح الجواد بأنعه ورفض أن يقبل الرشوة من شخص مارل عريا عنه . ضحككت رافينا وقالت :

« أيتها الشيطان المشكر ، لنشد ما أنسأل أى شخص تريد أن يمتطيك ؟ »

عندما كانت رافينا قاصرا تعيش تحت وصاية واحد من الفرسان كانت تستمتع بركوب الجبل وهي مارلت شاة صغيرة ، نعمته هي وودزي حتى رقتة وأصبحت الآن تمسك بمقود الجواد وتقوده وهي ثابتة الجان فوق السرج فاستحقت أن يكون فارسا متنازه وبنت اعجاب مارك عندما رأها تمتطي برشاقة فوهها المهنر كدليل على تقديره لطريقتها في ركوب الجبل وأدركت أن روحها سردبي لا يعر عن اطرائه بالكلمات وسما هو رحل عملي .

وبسما هي وثقة تتأمل أدونيس بأعجاب ساهي الى سمعها وقع حذاد يعمر ماء الأسطبل فاستدبرت لترى مارك يرسي سروال ركوب الجبل و قميصا أبيض اللون جعله يبدو أكثر شيئا ورصاصا في لباس الفرسان . وفي الحقيقة لم

تعرف رافيا رجلا سليم السان ذو نوا مثل روحها ، فهو يمضي ساعات طويلة يتفقد عماله ويمكف في مكتبه على دراسة أوراقه الهامة حتى ساعات متأخرة . كما أنه يعمل على إيجار شؤبه ، عليه نشاط ملحوظ اسمت وهي بشر بالخيال يقتصر قلبها ثم قالت :

« صباح بحير أحاول أن أكس صدقة أدوبس ولكنه يبدو حرجا لي »  
« أرجو ألا تكوني حاولت دخول حظيرة ، لقد أسيت معاملته مرة فأصبح يملك في أغلب الناس » .

قالت : « أكره التفكير في أن يكون أحد ألم مثل هذا الحيوان المتكر »  
ارتسمت ابتسامة على شعني مارك وهو يذلل إلى حظيرة أدوبس حاولته رافيا لسكر الذي اتهمه «حواد وهو يدفع عقه في كنف مارك ثم وضع لسراج على منته واللباح في فمه وودركت حمام مدى انتقام سهما .  
سهما يقتسم ألم الذكرى السوداء ويشتركان في الحضر الداهية الذي يحرض له المرأة اذا ما راودته فكرة الاقتراب سهما .

ثم سمعت وقع حوافر مهرها على أرض الاسفل بعد خروجها من حظيرة وقد أعد السرح على ظهره استعدادا لرياضة الصباح فأسرع إلى امتصاته وبألت شمس الشروق فوق شعرها الذهبي وسرح المهر الذي انتصت ردها واحتز لجامه وكرنه يقول لراكبته [ هيا بنا .. دعينا نطلق ] .

استدارت لترى ما اذا كان مارك امتطى حواده فتبين أنه استقر فوق ظهر الحصان وأرغى خافه القبة فوق وجهه الزمهر وغادرا هاد الاسفل ..  
إلى رحاب الريف . ورجست رافيا بالحربة وهي تركض بحواده عبر الرض الناعمة رغم وجود مارك إلى حوارها ، هناك سحر يكسو لكون في راحة العشب وقطرت الندى التي تتزلل فوق عديد الحشائش وسيقاد لربحاز الشوكية وبعد فليس سوف يسترف الشمس يد حايه الأول من الحشائش والزهور البرية .

كان قلب رافيا يشدو بأغنية غريبة ، يصعها مرح ويصفها الآخر دهنة اد أحست أنها قرية من ديا اسعدده وحل إليها أن الريح تهب سباحها فوق شعرها وانطلقت بحوادها تساقط مارك على أرضه التي يعرف فيها كل شر ، وكل صحرة وكل شجرة زيتون . وسألت نفسها : هل تريد الهروب منه ؟  
وانفتحت تنظر إليه فبرزت ابتسامة تكشف عن أسنانه البيضاء وسط وجهه

الأسمر ، وقد كبح حواده عن المضي في الحربي تاركا أياها تعتقد أن في وسعها الهرب منه واندمعت قنعة لتسقط وراء رفته هذا لها في صورة قاطع طريق يتعقب خطاها ، وتولتها رعدة من الخوف مرت في أوصالها ، رعدة دعوتها إلى أن تحت مهرها على الأسراع وتشتت ركشاتها بالمرح وهو يتحد طريقه إلى عاية الصوبر الكثيفة وعدم دناي إلى سمعها صوت حصي وهو يتناثر تحتخطاه حوافر أدوبس ، كان المهر قد بلغ الممر الطحلي المؤدي إلى داخل العاية ، ثم شمس رقيقة الراح الصمعية المبيضة من الأشجار ويدر أنها حرسنها هي ومهرها . وحسبا بلغت رافيا موقع جدول يتدفق فيه الماء عبر العاية توفد المهر فجأة فاهتر حصصها فوق السرح وسابها دوار وتقطعت أنفاسها ولنتها للال أشجار الصوبر وضرب حولها فرأت مارك في محادثها

قالت لآهنة : « هذا .. هذا الماء ، أهو صالح للشرب يا مارك ؟ » .

قال : « من رنه يتدفق من الجبال عليها صافيا » .

رغمته بنظرة سريعة لم المزلقت بجسمها من فوق السرح وأسرعت تركع فوق صفة الجدول واستخدمت راحتيها لتبهر بهما الماء وكان بارد كبره مثليح ، وطعقت تسعده وهو يجري لفيديا عبر حلقها . سألت مارك وهو يترحل من فوق حصانه ويسند ظهره إلى شجرة صنوبرك : « ألا تشعر بالظما ؟ » .

قال : « في وسمي أن أحسي قليلا من القهوة » .

وشمرت أنه يطلع إليها وهي حاسدة على حافة الجدول تجفف يديها ، ثم رردت يقول : « تخبي الدهاب إلى مطعم صمير أعرفه حيث تناول طعام الألفار ؟ إنهم يصطادون السروين مباشرة من البحر ويعدونه مشويا أو محنوا بالبحسرة » .

قالت ك : « أنا جائعة . إن ركوب الخيل يفتح شهيتي » .

« أنت تحبين ركوب الخيل .. أليس كذلك يا رافيا ؟ » .

قالت : « لم أمتط جوادا رائعا مثل هذا المهر » .

ورمقت المهر بشغف ثم أردفت تقول :

« أحب رائحة تصوبر ألها نقية مشنة صفة مثل ركوب الخيل السريع

عبر الريح والماء البارد وكل شيء له لدعة قارصة » .

وتطلعت إلى مارك ووزت لمان أسنانه وعلى شفثيه ابتسامه ، وأدركت أنهما وجدتهما . به روحها ومع ذلك هو الشخص الوحيد الذي يستطيع أن

بعدد أعصابها وقد بد جسمه وأصباحها . إنه عريض المكسب وترافق  
الزعة تحت قميصه الأبيض وأطرافه طوية وأصاف حناؤه الذي يصل إلى  
ركبتيه سمة القوة لي هيئته وكان لا بد لها أن نمر بجواره كي يصل إلى  
مهره فأحد قلبها يدق وهي تنهض واقفة والتخذت سبيلها نحوه .

مد يده في تراخ وجذبها نحوه ونفذت يده الأخرى في أغوار شعرها  
المتطاير . وفجأة اشتدت قبضته عليها وهو يتحدث إليها .

« كنت سبر وكان الناح يسرى في عروك سيما تدور البار في مطره  
عيبك . » من مره يا راسا حلال الأسابيع التي أمصها سويا شعرت  
بالدفع في قلبك . »

قالت والبرودة تشوب نبرة صوتها :

« مستح كل ما يمكن أن أعطيك إياه . إذا كنت تريد الحب يا مارك  
كان الأخرى بك ألا تجتمري على الزواج منك . »  
سأله وفي صوته نبرة ساخنة :

« هل كنت تصيحين السمع لي لو عارلتك بالطريقة التقليدية ؟ ماذا  
كان تكبيرك عندما التقيت لأول مرة ؟ »

زحمت بنضات قلبها تخفق قريبا من قلبه وزدركت زبه يشر بهذه  
الدقات محبوبة حينما قالت له : « كنت أروح أن تذهب بلا عوده . »

لم وجهها وراح يتحسس لعصا « رفيقة أسعل بشرتها الباعمة وسألهما :  
« كان الشيطان قام بزيارتك أليس كذلك ؟ هل كنت زبدو نشاطا  
أمامك يا راسيا ؟ هل بحثت انتقاء في مصلك ؟ مد لحيحة وحيرة كانت  
عيناك ترتفان ؟ »

قالت : « أنا .. أنا أحب أن امتطي مهري . من الأفضل أن تمتطي حوايا  
، أستطيع أن امتطيه جيدا . »

« لا بد أنك تعلمت ركوب الخيل منذ طفولتك . »  
س أجعل .. جاردي كان دائما يعاملني وكترني ابتته . وما تعلمه وودري

لم يكن ضيقا علي به . ذهبتا سويا إلى مدرسة تعلم ركوب الخيل .  
« هل عشتما مع بعضكما البعض فترة ؟ »

وتلعت إليه ، ولغت القصة في عينيها وقالت له :  
« كما أحبرت من قبل يا مارك إنني لا أستطيع أن أمحر ذكرى وودري

من عتلي كما عرفت كان مرعا ، أنيقا في زيه العسكري وجنبا .  
قال مارك بنبهة مرهبة متسائلا :

« جنبا ؟ هيا بنا ودعينا نتناول طعام الإفطار . »

وقاما بامطاء الحوايين ووقفا عاكدين من عابة التصوير . وكانت الشمس  
دافئة وهما يمحسان في الممر المؤدي إلى الصدق الصغير المقائم فوق التل لصل  
عنى الناطي . وكانت جدرانها الخشبية يضياد وسطحه منحذرا قليلا وله  
حديقة تثارب فيها أشجار الكروم والجميز وشجرة توت كبيرة صفت الموائد  
تحت أعصانها قادهما شاب نحول إلى إحدى الموائد وكان يتحدث  
بانكليزيت . « كسرة سريع الحركة أطاح الملاحه وهو يفرد الفوطه ويضعها على  
حجر راسيا وفال . « أجل . أجل . سيدي .. سترني السردس طارحا من  
لسر ماسره . » وظهرت في الحديقة شابة حافية القدمين ترتدي ثوبا قرمري  
اللون . وتخلل فوق كتفها سلة مملوءة بالسمك . محنت مارك ابتسامة سريعة  
ورمقت راسا فعصر ثم قالت

« صباح احمر يا سيدي ، هل رتبنا لتناول السردس المشوي ، كما  
كنت تفعل في الأيام الخوالي ؟ »

« أجل يا سانتوزا . أحضرت روجي لتأكل ألد طعام افطار موجود في  
كل سرديب . »

قالت سانتوزا : « لطيف منك أن تقول لي يا سيديور . »

ومسحت الشابة أحياء احترام وأدهش راسيا حرارتها وطرقتها الصاحكة وقد  
أصافت بلونتها المربعة وتزورها القرمية الحيوية لشبابها كما لاحظت أنها  
نظر إلى مارك وكان بينهما صداقة قديمة . حملت سانتوزا السلة إلى الصدق  
وحصب مارك كوبس من الس ليجتياض حتى الانتهاء من طهي السمك ،  
وأنت سيدة عجور بالكوبس وكانت تردي وشاحا أسود اللون فوق رأسها شأها  
في ذلك شأن كل جيلها المسن . قالت بالانكليزية :

« أتذكر يا سيدي عندما كنت تحضر معك انك ، هذا الصقر الصغير  
الغني ليحسي ليننا . . . ثم أضافت بالإيطالية :

« كوزي إيتا لايتا . »

ثم طلفت تجوب بظربانها لتأمل راسيا فدهشها لون شعرها الأحمر  
وبشرتها البيضاء وأردفت تقول بالانكليزية :

« إنها قطعة راذقة الجمال ، لا بد أنها تدبر رأس أي رجل ولكن من  
الفضل أنت تقترن بواحدة منا » .

وراحت تتمتع وهي تنافس المكان وتركت وراءها رافينا مشدودة وصالت  
مارك : « إنها تمنى .. هكذا هي الحياة ! » .

وكان البكمات التي تفوهت بها العجوز تعادب لرمي «مهجري» وبذكر  
مارك بوصف عدد لغز التي حاد فيها إلى لغز يصحبه فتاة ذات الشعر  
الأسود لتناول معه طعام الاضطرار وبعد مدة كان يأتي معهما اسمها الصغير

الصغير الصغير الشقي . احتسب رافينا رشفة من اللبن وراحت سحت عن شيء  
تفعله ، أوه ، ماذا أتى مارك بها إلى هنا ؟ ماذا . وهذا المكاب يحمل ضلالا  
من الذكريات وقد يحدث أن يسمع صرعات طفل يوازي وراء أشجار الكروم  
والجميز . قالت : « مارك » .

ونكه قاصمها قائلا : « كل شيء على مايرام يا رافينا أشكرك على يدك  
العصره التي تخور في عيبك . الشفقة من رجل الصعل . كان يحلو له شيء  
إلى هنا والأحشاء وراء الأشجار ورش ماء من الدهور العتيقة ، ولكن الذكريات  
لا يمكن محوها كما نفوس ، كما أنه لا يمكن الاحتشاء منها . هاهي نائلا  
تأني بالمردين » .

أقبلت رافينا على الطعام بشهية وهي تقول .

« لم أدق في حياتي مثل هذا السردس البديد ولحس مارل دائما حرج نحو  
من العزل والبردة تسح من شريحته » .

قال مارك : « يبدو مظرك كالتميدة المتحانة » .

حقا كانت رافينا بشعرها المطاير وقميصها المفتوح وهي تسلكه بقطعة  
الخيزر المدهون بالزبدة لتكاد تبدو أنها زوجة ولا يؤكد رواجها شيء سوى حاتم  
الزفاف الذي يزين يدها اليسرى ، وأدركت أن مارك يحقد مقارنه بسها وبين  
دوناتا . لا بد أنها كاتب هادئة وفاتنة وروشفة وسرورها الأسود راعما وعيها على  
استعداد لأن تهيه إضماة ضلالية وصورتها الناعم فيه مسر وإغراء .

مسحت رافينا شفتيها وأراب أنها كتبت الصرخة التي بدت من فمها ،  
تقد عرف مارك الحب ولكنه حرمها العزبة المحتمة لهذه الماطعة كل ما لديه  
هو الرعدة فقط . « سألتها » ماذا تريد الآن أيها العروس ؟ هل ترعيب  
مشاركتي سأول هاكة بيرميون ؟ » .

راحت تراقبه وهو يقطع العاكهة مناصفة ورأت العصير يجري فوق يده  
التي كستها المرب ، وأردف بألفها : « هل تعرض أسطورة بيرميون ؟ » .  
التهمت رافينا قطعة من العاكهة اللذيذة وقالت :

« من أشتى بها أدريس مصادقة وهي تقطف الزهور وحملها معه إلى قصره  
. هل سمح لي بعد مضي سنة أشهر أن أعود إلى عالمي مرة أخرى » .

نصلم إليها مارك وقال : « ادكت برعيس في رؤية جاري من أفت  
دونت ! أما داكت برعيس في رؤية رودري الحبيب فهذا شيء آخر ! »

« أرجوك **من كل** من أظن أن يدور حديثنا عنه ؟ » .

قربت رافينا رشفة على قدميه وطفقت تجول بين أشجار الحمير والكروم  
وكانت عابدة لعب صمرة ومرة وغرقت على عريشة نخل مقعد صغيرا  
من الحمير . حدثت عليه وحبت رصاها تلوي بعف مدبلها ، ولم ترفع

رصاها حينما أظلم المدخل بهمس مارك المغارح . قال :

« يجب أن تعود إلى البيت » .

وتذكرت ينهيا في وضها ، وتواردت الصور على عقدها عندما فكرت في  
العودة إلى بيتها ، إلى عرفتها في راضهول ، بإعادتها الدائرية وشرفتها الممتدة  
ونكشا وحلوتها التي تظمن إليها في أحضان الجدران البيضاء

قال لها : « تعالي » .

وشرب أنها وفدت في شرك ولاسيبل لها للخروج من العريشة إلا للوقوف  
في أحضانها فصرخت قائلة :

« كرهت لى رشر ينهيا سوى الكراهية حوك وسحر القلمة والريح التي  
نهر أشجار السرو . إنها سكي في الليل لاشيء سوى السحب في الكرا  
صيرسو ! هل شر هذا البيت يوما بالسعادة ؟ » .

قال لها : « مازلت صغيرة » .

وحدها سحره ، ولما حاولت أن نعمت هدية من بين يديه شعرت بقوته  
تجديها ثانية فقالت له : « أنت تحب أن تتل لي أسى لا أسطبح الغرار منك  
هنا ما تحبه .. أليس كذلك ؟ » .

صحك بصرح وجذب وجهها نحوه وتمتع : « عياك حصاروا وثالزناك  
أشاحت بوجهها وهي تقول : « لا تفعل ... » .

وكانت تدرك أنه يحاول تقبيلها فصصت ثانية وجرب يده التي تكسوها



الندوب على طول شعرها الزحمر وقال : « هيا بنا نعد » .

وصل ستيليو عقب الغداء ليواصل رسم صورة رافينا ولكنه بعد مضي ساعة ألقى بفكراته وحطأ تجاه المائدة ليحسني كوبا من عصير الليمون الذي يجه ثم قال بتجهم :

« إنني أتحدى يدي اليوم . هل ترغبين في كوب من العصير ؟ » .

هرت رفسها وهي تسترعي على سور الشرفة وقد تسلى لهما أن الصبي لن يظل هادئا أثناء الرسم لذلك فضل ستيليو أن يرسمها وحدها بجوار السور وساعده ذلك على مواصلة عمله ألقى عليها نظرة فاحصة متوسمة وسألها :

« ماذا برعيت ؟ عذوب عريية على الانتماء . إني أصر على أن ترسم ابتسامه المولايلا على شفثيك وأنا أرسم صورتك » .

قالت : « المرء لا يستطيع دائما الانتماء ، إنني . إنني أشكو من صداع خفيف » .

سار نحوها بقميصه الاررق الشاحب وعلع اليها بمسبح تلتلرل بيهما أضواء كهربائية اللون وسألها :

« هل أنت صادقة معي ؟ ربما يكون قلبك يسبب لك الما ؟ » .

أجفلت رافينا لنفاذ بصيرته ورأت أن عليها أن تكون حريصة مع ستيليو فهو شخص جذاب وعطوف ، وفي هذه اللحظة أحست أنها في حاجة إلى قليل من هذا الحان وإلى كتف تريح رأسها عليه عرذ لحظات قليلة . ولم تخجل طوار العوبة التي تتألا في عسه فأناحت بوجهها بعيدا عنه وشخصت بصورها نحو الجبال ، ومياه البحر التي تجري تحت البيت . وكانت تنبض مثل نبض قلبها في موجات متتالية وكان الجو مشعرا بالحرارة وكان عاصفة تلذر بالقدوم .

قالت : « الجو ثقيل يدفعني إلى القلق » .

« اقرب ستيليو منها وقال : « إنها الرياح الشرقية الحارة التي نهض من أفريقيا » وهي تثير أعصاب أشخاص غريب » .

قالت بحدة : « كفى .. يا ستيليو » .

« أريد أن أقول إنها أثارت أعصابها خلال الساعة الماضية . أنت تعبسة يا رافينا وأنا أعرف السبب » .

ورسمت ابتسامه على شفثيكها وهي تنظر اليه ثم قالت :

« لا نستطيع أن نعرف السبب بسهولة . أرحوك يا ستيليو صديقي في جولة بالسيارة » .

« قال والأضواء الكهربائية ممتلئة في عينيه .

« على الرحب والسعة ولكن ماذا عن زوجك ؟ » .

« إن مارك في اجتماع مع صانعي الشراب ولن يعود قبل ساعات وأنا أريد أن أشعر بالريح تلتفح وجهي » .

قال : « إذن هيا بنا » .

أمسك ستيليو بيدها ومثل أطفال المدارس انطلقا بهبطان درجات السلم وبحرقان الصالة وبمحادرات باب البيت . ولم يلحظ زحدهما السيدة ذات الرداء الأسود وهي تنعصص عليهما ، واقفة في الرواق بنظرات تومض ومضا سربعا ثم هزعت لتدعي لسيولتها بأن البادرونيستا انطلقت تجري من البيت يحدوها مرح اغفره وهي تمسك بيد الرسام الايطالي . وكان لون سيارته لوس رماديا . ولحقت سائق الريح عبر العرقات لي تحرق الجبل وفي كل محلي كانت رافينا تمشك رباعها وتشرع أنها تطير في الهواء ، ولن تفكر في ركوبها مرة ثانية ، أما الآن فهي رعب في أن تمتع عسها وكان ستيليو يهمل كعما لفحته نسيمات الهواء ويقول لها : « إنها مشعنة أليس كذلك ؟ » . ضحككت قائلة :

« إنها رائعة ، من الأفضل لك أن تكون سائقا لسيارات السباق » .

قدعها بانتماء سرسمة وقال : « إن الريح تسع شمرك بالسيد . ماريليا يا رافينا أن تنوجه إلى البحر » .

« لا ... لا ... إنه بعيد » .

« ليست امسافه بعيدة وأنت تركسين لوتي ، في وسعي أن أقدم لك شرابا مثلجا في مكسي ، وسأعود بك في الساعة السادسة هل أنت حائفة ؟ » .

قالت ساخرة : « منك ؟ » .

« لا .. رافينا من زوجك » .

ويسو أن شفا اعتصر قلبها ودفعها الشعور بالجوف من مارك إلى التمر فعالت بلا اكترات « يمكنك أن تقدم لي شرابا باردا انتظر .. دعني أو .. ثانية » .

فأطعها ضاحكا : « أفلت الأمر من يدك . لقد بلغنا الطريق المؤدي » .

المباذل !! -

« كنت أود أن أقول لك إنني أفضل أحساء عصير البرتقال » .

وأحدث لسيارة تطوي الطريق الناعم المخاض للشاطيء وانقضت فترة قل أن يرحي المحوف أصابعه التي أنشبت أطرافها بصدر راسا . كانت تدرك أنها ترتكب جرما تجاه مارك وقررت أن تحمي عه بارتها لفيلا ستيديو ، ما يحياه مارك لا ينسب في قلقه .. أخيرا ، وقعت السيارة أمام فيلا رائحة الجمال ، تقع في ميدان يصمم عددا من المنازل الفاخرة ورأت سلما رينس اللون عربي التصميم يؤدي إلى الشرفة . كان المنزل يبعث على الشعور بالهجة والمكان يندس حقا ما غير متأهل وضع ستيديو مرفقة على عجلة القيادة وسألها

« حسنا .. هل تدخلين الفيلا ؟ » .

« قالت : « كيف لي أن أقام ؟ » .

والتفت لتعاد السيارة واستدار هو من الجانب الآخر يصمم إليها ، وإرتقا السهم المؤدي إلى الشرفة وفتح الباب ودخلا غرفة واسعة وباردة ملهنة وأريكة هلالية الشكل مكسوة بالقطيفة وبعض الزخارف النحاسية ودولاب لشرب فارسي التصميم ولوحات إيطالية ترين الجدران وللاعه على شكل جمعه فوق مصدرة صميرة

« قالت راسيا باتسامه : « أت مترو ؟ » .

بطلها بحسرة وقال : « كنت شابا محروما . دقت الفقر والحرمان في مطلع حياتي . أحسني من مصفك وسوف ركب لك شتا » .

« قالت بخفة : « أريد أن أحسني عصير البرتقال » .

ثم جلست في أحد المقاعد الوثيرة وامتزج لون فساتينها الأصفر بلون قماش القطيفة البرتقالي الذي يكسو المقاعد ، ووضعت يدها على شمرها لتسوية حصلاته . وألقى ستيديو نظرة عليها قبل أن يتوجه إلى دولاب الشراب وفتح رعد مصرعه وقال : « لم يبد عدي عصير البرتقال . ألا تتقير بي ؟ »

« قالت : « أفضل أن أحسني مقبوا مزوجا بالثلج » .

تطبع إلى حاتم الرفراف الذي يربس يدها اليسرى ثم عرفت في ستيديو

وسألت : « هل تعيش وحدك هنا يا ستيديو ؟ » .

« نحن ألا نشعرين بالأسف لي هاتك سيده تأتي نسطيف البب وتلمعه

وتقوم بطهي الطعام اذا دعوت بعض الضيوف ، ولكي اعتدت أن أندول

عشائتي في المطعم » .

قدم لها الشراب المعروض بالمقوى في كأس على شكل رهرة التبول ثم سألت : « دائما وحدك ؟ » .

حس على الرقيقة الهلالية الشكل ومد ساقيه حتى قاطعا ووقع كأسه بده وقال لها : « في صحتك ! ان الرجل يعتاد على الوحدة ولكن يوجد علاج واحد لها . في حال هل تبدو أنت أني من النوع الذي يستصعب أن يعيش حياة الرهاط ؟ »

استمت ومرت رأسها وقابت : « كنت دائما أعتقد بأن الإيطاليين يهزولون في من مكره ليكون لديهم عائلات كبيرة » .

« قال : « لكن قاعدة شواد ، حدي نفسك مثلا أنت فتاه جميلة .. وتزوح ضد رختها » .

« جمعت الانتباهة على شفتيها وقالت :

« ما جئت إلى هنا لتتحدث عن زواجي وإنما أتيت .. » .

قاطعا قائلا : « لتسيه فترة . لاداعي للتظاهر معي ، رأيتك على حقيقتك ورا أقوم برسم صورتك ، وكيف يبدو شكلك عندما يصمم مارك دي كو ربو البيا ويص على الشرفة في الكار . كان الصوء يهرب من عينك وكأنك تحلين عن نفسك » .

وضعت كرسيها على المنضدة وقفزت وافقة على قدميها وقالت :

« كفى ! ما جئت إلى هنا لتقوم بتحليل زواجي أو مناقشة مشاعري الشخصية ، ليس هذا من شأنك » .

« قال : « هل تظنين ذلك ؟ » .

ثم وقف بدوره ورأت سمة الحدية في نظراته ثم أردف يقول

« التقينا على الشاطئ » وكنت حذوه والتقيت بك ندية في بيت دي كورروبو ورأيت فيك فتاه تحلف نماما عن تلك الغتاه التي توجعت معي إلى الكهف في كل يوم مند انتقيا وأنا أحاول أن أقبل الأصواء المصاحبة التي تلاحقني في عكس إلى اللوحة بكل هذا مستحيل ! انها لم تعد هناك شيء عاصر يحاول أن يتممها ! » . وتجرع بقية شراب ثم استنجد بقول

« سديني هل تنصرون إلي أمحر ؟ هل تظنين أنني جبرت هذه الدنيا قليلا فلا أدرك حقيقة امرأة التمس عندما يقع بصري عليها ؟ » .

« وهل تطأ أسي حثت إلى هنا تقدم لي العراء ؟ وهل هذا هو الأسلوب الذي يستجيب به زبائنك التمساح السحرك ؟ » .

قال لها : « لكنك صرحت لي بأنك تسمه ؟ » .

وقام ليتناول سيكارة ثم توحه ليلقئ الأبواب الزجاجية التي كانت تسمح بدخول سمة حارة جعلت رافينا تلهث أنفاسها ، ولما عاد وقف إلى جوار كتفها ، شعرت بالثوب ولم يكن سبب ثوبها جوفها من دافع عريزي مه واسما كانت تشعر سوح من الود يصفه عليها ، والحال يعتبر أخطر عاطفة عندما تكون المرأة في حاجة إليه .

قالت : « كل شيء يسوده الهدوء حتى جمع الحصاد هذا والوشجار سجت حيويتها بزرقة السماء الحارة » .

تمتم قائلاً : « كم أحب سماع بلاعة وصمتك لديك سمة تصيب المرء بالهوس لم أجدها من قبل في أي امرأة أخرى » .

« هل عرفت نساء كثيرات يا ستيليو ؟ » .

« أنا في الثانية والثلاثين من عمري وهناك له مكانته لابد أن يتعرف بالناس » .

« أنا أسمة أنك نقى ، لتتابع بسبب صورتي وربما تفص يديك منها فربما » .

« يجب أن أتحدث عليك لأنني عن الرسم . لقد كنت محمالتك يا رافا ، أرجوك لا تنفاري المكان ، اتني لن أملك ولا أجرك على أن تنفاري كيمي مشاعري ، أنا أعرف أنك فتاة ولية لزوجك حتى لو لم تشعرني بحب نحوه .

ذات يوم .. ربما .. سوف نفضين لي بسبب زواجك منه » .

تولتها رعدة خفيفة ربما كان النسب مزجته الريح أو وميض في السماء دفعها إلى أن تتراجع عن الوداع وجعلها تقترن من ستيليو ليصطدمها برفق . أغضبت حينها وأندفعت ذكرى جاري إلى عقلها . كان رقيقاً وحانياً عليها واعتاد أن يقبدها في وحنها حين عودتها من المدرسة . صفرت الذموع من عينيها وانسابت على وجنتيها بينما كانت السحب سرق حازجاً ، ومدير المطر يتدفق من عداد السماء ويتطاير ردد مه على رجاج الأبواب المفتوحة فسحبها بعيداً وأضلعت العرفة وبدا الهوء يهب يصف مسحت رافيا وحنها امتنست وتحت عينيها تشاهد العاصمة وقالت : « ما كان يجدر بي أن أتني هنا . إلى

متي سيدوم هطول المطر ، أرغب في العودة إلى البيت يا ستيليو » .  
نظر إليها مأجوداً وقال : « لا أستطيع أن أعود بك في مثل هذا الجو أنت لا تفرص كم هي سيئة طرق الليل حينما يكسوها مطر اهذني وكوبي طريقة إن المطر المنهمر لا يدم طويلاً ، وأسعدوك بك بأسرع ما يمكن » .

راحت رافيا بقطع العرفة حينما ودعها وهي تستأثر نفسها لماذا وافقت على الخيء معه ؟ أدركت أنها أخطأت ووقعت في شرك العاصفة ، ويبدو أن عصب المطر لن يبرق .

قال لها : « اجلسي » . وسكب لها شراباً طازجاً احتسته وشعرت برأسها يسبح بخفة والحرارة تدب في أوصالها وزاد وجيب قلبها . كانت خائفة على نفسها وعلى ستيليو .

قالت : « مارك سيصعب . أسي من أخبره بمحبيتي مملك إلى هنا » .  
« ما ستيليو جوها وقال : « ماذا في وصمه أن يفعل ؟ علام بغضب إذا علم بالحقيقة . بأننا شراباً . بأننا تحدثنا . بأننا أصدقاء » .  
« من الصعب تحليل هذا التصرف » .

« حاولي يا رافيا .. دعيني أفهم النسب الذي يدفع فتاة مثلك أن تعيش في خوف من رجل . من واحد أن يشعر بالحب منك ، وأن يرغب في إسعادك » .

حاولت أن تتبسم ولكن محاولتها باءت بالفشل .  
سألها ستيليو : « ألا تخشين فتصويرين الحب .. جاذبية » .  
قالت متسائلة : « حب ؟ » .

وحدثت في المطر المنهمر كأنه سياط تلهب أرضية الشرفة فسارع ستيليو إلى علق الأنوار الزجاجية فتوقف تار الهواء . قالت رافيا في هدوء :  
« عندما يوجه القدر حياتك بقوه يتوقف إيمانك بالحب . لم يطفئ مارك مني حيي مطلقاً ولم يسلني الزواج مه الا امتلا لإسوده معي » .  
أسكت ستيليو بيدها اليسرى وحنس حاتم زفافها وقال :  
« لماذا ؟ ألا أنك شعرت بالشفقة نحوه ؟ ألا أنك لا تختملين أن تكوني سببا في إيلام رجل سبق أن لحق به أدى ؟ رافيا إن راجحت مه يعد نصيحة » .

بدا وجهها في ضوء العاصمة مستغرق في التفكير وعيها مثل نترك الموحلة بانطى . أجل أنها نصيحة ولا يمكن انكار هذه الحقيقة ومع هذا فانها

لا تسمح لستيليو أن يعرف على لحن حاجتها إلى الحنان ، وعليها أن تخرب  
هذا الصعب الذي تنشر به في أعماقها وإلا سيصير مصيرها الارتقاء في  
أحضانها .

قالت : « عندما كنت طفلة وكان المطر يحول دون خروجي اعتدت أن  
أردد أغنية يا مصر .. يا مطر . أرحس بعيدا ، وعد ثانية في يوم آخر . فهل تعلم  
أن محري سوف يفلح ؟ » .

قال وأصابه تقيض على أصابعها :

« أعتقد أن هناك فرصة لتحقيق فيها الأمانة ولم يحدث أن التقى شخصا  
في وسعه أن يلقي بسحره مثلما تفعلين » .

وفي هذه اللحظة ترددت أصداؤه رنين أحرس ساق في أرجاء الدلاء  
وروحرة الرعد ، وألقى البرق في عيني ستيليو عندما راح كل منهما يحدق في  
الأحر . كانت عيناه تنفزان بهجوم مباغت تردد صدها عبر عيني رافينا .

## ٧ - ليلة العاصفة

سأل ستيليو صديقا « من يترك الباب في مثل هذه العاصفة ؟ »

وبهتت وأكلمها عندما دق الجرس مرة أخرى وأردف يقول :

« لاند أن أحجب على الطارق يا رافينا » .

قالت : « بالطبع » . والتفت عيناها ورادها سؤال واحد دهر ستيليو  
كيفية في استحقاق وحفا حصوات واسعة وأرهفت رافينا سمعها عليها تلتقط  
صوت الراتر حينما يفتح ستيليو الباب . وشعر أنها مذنبه فالانها الذي  
سيوجه لها وستيليو بأنهما عاشقان وأن مارك جاء سعيها وراءها . وشخصت  
بصرها نحو الباب حينما لاح لها شبح طويل بدمه المظلم وقد وقف عند المدخل  
وتحققت مخاوفها العميقة

قال صائحا : « رافينا » .

وكانت فطرات المطر تنساق من فوق شجر مارك الأسود لتستقر على عيبه  
وطفقت بصرته منحصر جسمها الحيل العارق في المقعد الواسع المنكسر  
بالقطيفة . ولم يستطع رافيا أن تحرك ساكنا . وتكررت عيناها على وجهه  
النصارم . لم يصدق عيبه في باديء الأمر ولكنها كانت حقيقة ودفعة أن  
مارك جاء بحثا عنها .

سار إلى اعرفه بتعه ستيليو الذي بدأ صيا إلى جوار مارك وبصر عصب في  
أحد صديقيه عندما استدار ليواجه الرسام . قال مارك بصوت بارد تشويه مرارة  
العصب : « أحب أن أقدم بي تفسير لهذا الموقف ماذا تفعل روحني ها ؟ »  
كما المطر الشرقة ودقت الساعة معلنة الوقت كأنها تريد أن تبه رافينا بأن  
مكانها في هذه اللحظة يجب أن يكون في بيتها وليس الاستكانة التي هناك  
فانسق . سألت مارك :

\* \* \*

« ماذا تفعل هنا ؟ هل رأيتي أحدهم وأنا أغادر الكازار مع ستيليو ؟ هل جئت الى هنا لتأخذني بعيدا ؟ »

« بقها بظرفه سوداء وفان لا . . . تحررت عربتي في مكان ليس بعيدا من هنا وأعرف أن ستيليو فاريري لديه نمون فحشت أستاذ من الحديث الى الكراخ . ولم يكن لدي أدنى فكرة أنني سأحد روجتي مع السيور . »

مصب حطة من تحطاب الصعب التي يبدو فيها الرءاء وكأنها ألفة ولم يقطع الصمت سوى صوت المطر المتهجر ولم تستطع رافيا أن تقاوم رغبتها في أن يخس النظر الى ستيليو ولما حاول ستيليو الكلام بدب سرته وكأنها تؤكد كل مظاهر الانتم .

قال ستيليو من كان الجو شديد الحرارة والرطوبة فرأيا أن يقوم برهة في السيارة . « لبي السبب في دعوة رافينا للمجيء الى هنا لتناول بعض المشروبات وما وصفا فاجأنا العاصفة وحاولت أن أقنعها بأنه من الجود قيادة السيارة عبر الجبال وسط هذا السيل المهم . لو أن العاصفة لم تحدث . »

قاصمه مارك قائلا : « لكب حملتها عائدا الى اليب دون أن أعرف أنها كانت هنا بصحبتك . »

ونظر الى رافيا بطوار مهمة مدركا أنها كانت تستكن ما حدث وعندما تقدم حضوره نحوها تراخعت واندرع بنمكها وكأنها تحس أن يمسها وفاسو له نجد ساهر . « هل يحق من هذا الأمر مناهة ؟ احتسب كأننا وم يكن سوى مقو بالتج . »

ربح مارك كأس التبوليب فوق المصعدة الواقعة الى جوار المعد الذي يجبر عليه هالتفصها وراح يتنممه وأعاد الكأس الى مكانها وسأل ستيليو

« هل فرغت من رسم صورة زوجتي ؟ »

أجاب ستيليو : « فشل الرسم فشلا ذريعا . طبت في التديبة أن رافيا موضوع سعيد يصلح للرسم ، ولكني الآن عرفت أنها امرأة نعمة ولست أستعع أن أنقل الى النماش حقيقتها ليس في وسعي أن أفعل المزيد من الرسم مثلما عجزت أنت على أن تستحوذ على قلبها يا سيور دي كورريو . »

واجه الرجلان كل منهما الآخر حينما تولى يريق ضوء عبر العرفة تطلع مارك انبه وقال ساحر . « هل تتصور أنك إستحوذت على قلبها ؟ أنت محدع نفسك يا ستيليو . إن الرجل الذي يستحوذ على قلب رافينا بعيد من هنا . »

بمكها أن تعمر له خطاها وامرأة تستطيع أن تفعل ذلك من أجل الرجل الذي تحبه .

وتطلع ستيليو نحوها وبدت الحيرة في عييه وقال « رافيا » قالت وهي تطلع الى مارك : « أرجو العودة الى البيت . لى أحسنى مراقب الجبل ، اتصل بالكراخ هاتفا ودعهم يصلحون سيارتك . »

قال ستيليو بصوت حاسم

« حد سيارتي ، اليك المفاتيح سوف أستأجر روجا يحملني عد الى الكازار لأجمع أدوات الرسم سوف أعود سيارتي الى بيتي . »

وكان ستيليو يتحدى مارك في أن يقود السيارة اللوتس في حصم العاصفة ويحترق بها الطرقات التي تتعرض لانهيار التربة نتيجة لسيل المهم لى تنقل بصرة الى رافيا وكانت عينا حامدتين . ولم تنفوه رافيا بكلمة . كانت واقفة أن مارك سوف يقبل التحدي اذ قال لستيليو

« هل لك أن تعير روجتي مصطفا ؟ »

وأحى الرسم رأسه بالاجاب وغادر العرفة ليحصر معطد وحرك مارك مفاتيح السيارة بيده وسأل رافيا « هل أنت عصبية ؟ »

وحملق فيها ويرق ضوء غريب في عييه وقال : « أنا مصعب دائما بشجاعتك الأمر الوحيد الذي لا يجمع دهشتي هو أن فتاه لها مثل شجاعتك تقع في حب جيان . »

وتوقف مارك عن مواصلة الكلام حينما عد ستيليو وهو يحمل معطفا ورافيا من امطر ، وكانت عييه مضطربتين وقال

« سيور ألا تمكث هنا حتى تهدأ العاصفة . هناك صدام في اثلاحة . »

تمسك رافيا المظف وقالت « ستيليو عندما يصدر مارك قرارا لتعيد أمر ما فلا أحد يصكه ن يشيه عن غمره . اذا سرتك يا مارك ... كلا لى أتوصل شيئا ... »

وسارت الى الباب وابت محبة وهي ترتدي المعطف الفصفاص الطويل وقالت « لاذهب يا مارك » سرعاه ما بهت الظلام »

واستمر هطول المطر بينما أحدث عجلات السيارة تماذر أرض العيلا وحذقت رافيا بظراتها عبر النافذة التي راحت امساحات بريل ماذا اللاصق فوق سطحها ، وكان مارك يمسك عجلة القيادة بثقة تامة ولم يتنوه بكلمة

واسما كانت يفراته منه على الطريق الممتدة أمامه . وسار بالسيارة نصف ساعه  
توقف بعدها عند مكان بجوار أرضا مزروعة بالحبثاثنى تقع تحت الحال ثم  
استدار نحو رافينا وتلألأ ضوءه على وجهه المشوه بالندوب وقال يوحنا :  
« لا أستطيع أن أفعل ذلك » .

ونظع الى يديه بلتين تقصصتا على عجلة القيادة هذب بحرق واضحة  
واستطرد يقول : « سيكون من الجنون في مثل هذه الليلة » .

وتركز بصر رافينا فوق وجهه وأدركت أي ذكرى مخيفة تسيطر عليه  
بصراوه وشحون دون مواصلة هذه السيرة ، فقد ذكر دريسني حسنا وقع في  
شراك حطام السيارة الأخرى ووجهه حذب انعطاف عنها فدا جسمها صغير  
وصالحها في شياها وقد بها « يجب أن نمكث هه قليلا لا . ذكرت الان  
يوجد كوخ راعى مفرقة من هه ، تعالى ، يمكسا أن سواش عشاء من لحم  
الضأن المسلووق إذا أسعدنا الحظ » .

وراحا يقصصان الحفل بسرعة تحت وائل المطر المدهور وقد انقب درعه  
حس وسطه ، بينما كان انعطاف يتظاهر في الهوى . ثم توقف أمام كوخ  
يتكون من عرفة مستقيمة بها فة محروصة بشكل كالصور . وعالج مارك  
اسباب فافتح بسهولة . كانت اسار حابة ولا يوجد أي قدر فوق المدفأة ، كشف  
وميض البرق عن وجود أريكة خشبية عريضة عليها رصعة من فرو النعم وكرسی  
مستدير بثلاث أرجل وهراوة مستندة الى الجدار ، وهبت الريح هاهنرت لها  
الهراوة وسقطت على الأرض ، مما دفع رافينا الى أن تقفز بصيصية  
قال لها مارك : « ادخلي » .

وهو يشعل عودا من ثقاب ويطعم يتجول في الكوخ المجهووز، أى يقابل  
شمعة في فتحة زجاجية فأشعلها وتطلعت رافينا الى حماره . وقد دفع يحمي  
لهب الشمعة بيديه من تيار الهواء .  
قال لها : « افندي الباب »

قالت وهي ترتجف : « هل تويي المكوث هنا ؟ » .

تركها ليتلق الباب بنفسه ثم قال : « ليس ههك بديل لذلك في الوقت  
الحاضر . انه مكان غريب يصلح لإيواء اثنين في ليلة عاصفة كهذه . يمكث  
ان نشعل النار . هل تحبش من وجودك وحذك معي في حين راتنتك الجزاء  
للدهاب بالسيارة وسط العاصفة ؟ » .

« انني أخاف من وجود ههان » .

قال بانتماسة ساخرة « ههان الحقل .. لاؤديت » .

وعثر على كوره في الجدار وضع فيها الشمعة التي راحت تلقى بصوتها  
على مارك وهو يمسى نحو المدفأة ليوقد فيها نارا وقال :

« اخشب حاف وسوف يحترق حذ تعالى يا رافينا سوف تتمتع بدوء  
عائلي قبل أن ينيلح نور الشياح » .

ودسب يديه المظطرسين في جيوب معطف ستيليو فلم يحدث لها من  
قل أن امردت تماما بمارك حقا انه زوجها ومع ذلك فهو الرجل الوحيد  
الذي يحميها بشعر بالخجل وتترك الانراكا تاما انها امرأة ، وانتهابها الوهن  
فانسدب بجسمها الى الباب الذي كان يهتز تحت وطأة عصف الريح .

قال لها مارك : « لائقني ههك في مواجهة تيار الهواء ، تعالى يا رافينا .  
امسكت لظنه وكأنها مسبوقة الإرادة وأحست يديه تلمسان شعرها .

قال لها : « شعره مبتل من المطر أشعل النار حالا .

وكانت حصلات شعره تسدل صلة فوق عييه وأحست باعماة خفيفة .  
وعندئذ أدركت ما يريد منها في هذا المكان الغريب الذي يقع في البراري  
وعندما بدأت ساقها تنهاروايا قام صريها يرفعهها الى الأريكة وأرقدتها فوق فروة  
الغنم وأراح خصللات شعرها من فوق جبينها وقال :

« حسنا أنا لست عاصبا من وجودك مع هابريري أنت فعلة مسكية بمرفة  
الأعصاب » .

« مارك » .

« ولا كلمة ... استريح قليلا حتى أشعل النار » .

وتوجه الى المدفأة وبدأ في قطع الحطب وزاح يبحث عن ورقة في حيه  
يصمها تحت الحطب حتى تساعد على اندلاع النار ونحت رافينا أنه يسحب  
حطبا من حيه ويطلق فرفة حارة من صدره ثم كوره ووضعه تحت الحطب  
وأصرم النار فيه ، وبسما كان الحطب يحترق سمعت الحطب يصدر طقطقة .  
وكان مارك يحرق في اللهب المشتعل وقد رن عليه السكون .

فأه استوت رافينا حانسه على الأريكة وأردت أن تعرف صفوى الرسالة  
التي كانت تحترق في المدفأة . سألته :

« مارك ما هذا الخطاب ؟ أوجوك أنظر الي أعينري » .

انتصب قوامه مشدودا وعندما امتلأ كان قناع أسود اللون يكسو وجهه  
وقال بصوت خلاصه الدفء .

« عدا أعيرك » .

انزلت رافينا بجسمها ترك الأريكة وقالت :

« كلا أعيرني الآن » .

وظفرت إلى النار التي كانت تحرق الرسالة وحولتها إلى رماد وأحست  
بذقات قلبها تتدافع بسرعة وقال لها بحشونة

« إنه خطاب مرسل إلى رودري برين شررت عليه في عرفتك منذ فترة .  
خطاب لم يعنى به أوردت فيه مقابلتك له يوم زفافنا . هل أردت على مسامحك  
كلماتك ؟ » .

رفعت رافينا يدها ومخست وقتتها وسمعت صوت مارك رقيقا تشوبه نبرة  
حطرة « احترق الخطاب ولكن الكلمات لم تحترق . كاس يقول : أرب  
في رؤيتك مره أخرى وأنا لست أسفه حتى لو عصب مارك . إن تلك الساعات  
لتي مضيتها معك ساعدني على موجهه موقف بالغ الحضوره ، إن رويط  
نحب بيضا تنصل السيرة البامة التي أعف بها كلما أحسست أنني أعرق في  
عمق الماء الذي أتردى فيه . » . « صحت ثم أودف يقول بغضب :

« هنا توقفت الرسالة لم تخاولي إتمامها هل شعرت بذلك لا تختملي  
إرسال خطاب إليه في حين كنت تتوقين دائما إلى صبحته ؟ إن الكلمات على  
تلك الساعات التي أمضيتها معه في يوم زفافنا لابد أنها عذبتك حتى أنت  
كورت الرسالة وألقيت بها ولم تنطرق إلى دهشك أن زوجك قد يثر عليها  
فيلتقطها وفضها من باب الفضول » .

حدثت رافينا بصرفه في مارك وأدرك سوء المصير الذي شس عليه  
عندما قر عارة [ تلك الساعات التي أمضيتها معك ] كلمات تخمس معي  
وحد عند مارك فقد طر أنها هي رودري عاشقا لاند من ميبيل لعى هذه  
التهمة ولكنها رأث صورة المزاره التي أوسمت على قمه وأنه على استعداد لأن  
بردري أي شيء نقوله ، وانتاشها رجحه حينما مرحرت الريح حول الكوخ  
فقال لها : « أنا أسف ليس لدينا أي طعام نأكله أو شراب نحسبه وخير  
لك أن تكوني جائعة من أن تنورط في حداث على طريق العجل » .

ويحدث مارك في جيبه وأخرج علية تبغ واستطرد يقول :

« إن واحدة منها سوف تصيبك بدوار هل يصابقك إذا دحنت لفاقة ؟ »  
قالت بصوت يشوب نبرته اليأس : « أرجوك يصيبك أن قدغن » .

أخرج سيكارة وأشدها وبغت الدخان دون أن يرفع بصره عن عيبتها وبم  
تختمل فوه نظرائه التي تخاول أن تقرأ ما يدور في عقلها ، وسارت إلى المقعد  
للمستمر ذي الأرجل الثلاث وسحبته قريبا من النار وجلست عليه وراحت  
تدفيء يديها .

قالت : « أنا لست ~~جسدي~~ إنما أريد قنجانا من الشاي » .

وتصاعدت حلقات الدخان في الهواء وكأنها علامات تسالول . وقال :

« لاند سوف تعلق علينا . لماذا لم تشككي في البيت . كان في وسعي  
أن أعود إلى السب وحدي لكن الأمر لايهم كثيرا » .

قالت رافينا : « سوف تغامر بحياتك ؟ » .

هر كتعبه باستخفاف وقال : « ولن أقامر بحياتك يا عزيزتي لا انتظري  
بالزجاج لست بهدوء أن أعص عن مدى حيي بك . أنت صغيرة ودرستي  
كان صغيرا والحياة حلوة حتى لو امتزج اللوز لمر بالقرنفل » .  
سألته : « هل كان درستي يشبهك ؟ » .

لم يسق لها أن طرح عليه هذا السؤال من قبل ولكنها ، لأن تشعر بدافع  
موى لى أن تعرف ذلك ، وبصمت إلى روحها وبالرغم من الدوب الرهبة  
التي تشوبه وجهه إلا أنه بدا لها أيقا في ضوء النار المشتعلة .  
هر رأسه دلاحيه وقال : « أحل كان يشبهني . يجب أن أريك صورته »

وشد على شفتيه وهو يجرح محفصته ويفتحها ويسحب منها صورة صغيرة  
وساوبها باها . ورحب تفحص صورته الصعل ذي الشعر الأسود عينا تلالول  
مرحا ، وصفيحة وجهه تمكس صورة وجه أبيه قبل إصابته في الحادث .  
وصغيره يبا تامل لصوره فتره صوبية راحب بكافح «دموع » التي أوشكت أن  
تظهر من عيبتها . الآن فقط أدركت السب ندي دفعه إلى لبحث عن العتاة  
الغريبة من فب رودري ينجحها على الزواج منه هو .

مدد أن يذأ الحنيه بمد أسا حوء ومد عهد هيبس كال على المرأة أن  
تدفع لشس فمي وسعها أن تتدوق امرأة مع حلالة الحب ، وعندما أعادت له  
الصورة بلا مست يديهما وتكررت نهما وحدهما في الكوخ



قالب له . يدور الريح بدأت يهدم في الحارج .  
ولكن العاصفة كانت لا تزال تصفق الباب والمناح يتساقط مبتلا من  
مدحة اندفاعاً فابتسمت عصبية وطلعت نهر كنفها يستحاف .  
قال مارك : أتب متعة اخلاقي الى النوم . إن الأريكة تصلح للنوم بل  
هي حشة ولكنها طيبة .

ثم نهض رافيا من فوق المقعد وسألته  
« وماذا عشت يا مارك ؟ أنا مستريحه ها بجوار البار .  
قال : الحطب أوشك على أن يدوب وعندما تحمد البار سرداد البرد في  
المكان وأفضل أن تدثري وأنت نائمة فوق الأريكة . تعالي .  
ومد إليها يده لمساعدتها على النهوض فقللت له بتردد .  
« لا يمكنك الجلوس على المقعد انه متهعب وأنت طويلة .  
« سأكون بخير ، النساء يتمتعن بنعمة القلق .  
قالت : إنا نستطيع أن نجلس سويا على الأريكة .

بوردت وحشاها بحمرة المحلل وكأنها عروس في ليلة زفافها واستطردت  
تقول : « لا نستطيع أن نتجول في الكوخ طوال الليل ، لن يطرُق اليوم أحداً  
وإن أراك لا تقوى على الرقاد .

قال صاحبا : هل أنت الاسانة لتي تفكر في ؟ .  
ومحة انتصب ورمعها بذراع واحد واستغرد يقول  
« لا أستطيع أن أقاسمك الجلوس على الأريكة فسرعا ما يتألف القصر  
وحتى الآن مارلت عصبية من لمس يدي .

أدخلت رافيا قدميها في فروة الصم تشع بالدفء وألقى مارك أآخر قطعة  
حطب في اندفاع وفي هذه اللحظة فطأت أشعة وعلى ضوء النار اشتعلت  
عاد وحلجس الى حوارها وحدها الى كتفه ورجحاً تطالعان الى النار التي أخذ  
لهيها يحو تدريجاً وبدأت أصوات الريح تلالشي معها استغرقت رافيا في  
النوم وورسها مستقر فوق كتفه العريضة وأصباحاً بيلة غريبه وعندما استيقظت  
رافيا عند الفجر وحذت نفسها بين ذراعي مارك ووجهها يتنعج بداء عقه  
وطلب وهي نصف حلة أنهما في برج العارس ، ولكنها أدركت الحقيقة  
عندما أفاقَت تماماً ورأت كوخ الراعي ويقاب الرمد في المدفأة .

ترك بصرها يمدد ليستقر على وجه مارك الذي كان مستغرقاً في النوم

وقد استند بظهره الى الطاولة ولما كان البرد الشديد قد رحف الى الكوخ أُنشد  
الليل فانه جديها بذراعه وضمها الى صدره ليتشمس البدء فلم يشعر بأدنى  
خوف منه . والأآن أدركت كيف يكون الرجل غير محمي وهو في قبضه اليوم .  
كان شعره مشعثاً ودفقه التي كساها الشعر رقاء وقوية وشفتاه صيرمتان  
ووجهه سرال الجاوبف تحتها أما بدونه فلم تنقل الى ابنه وسما ورت عنه  
الكرياد والعاصفة . مدكها الدغر فأسرعت بسل وموشها وشعرت بذراعيه  
يشندان حولها عندما بدأ يسقط وأطلق رجحه واستدار بوجهه وهمس قائلاً

« يا حسي »

لم يسبق به استعمال هذه الكلمة من قبل ، عدت من فمه ناعمة تشوبها  
الألفة والمودة وعرفت أنه نصف حالم ولا يقوى بها إنساك إلا للمرأة التي أحباها  
ثم فقداه فتح غيبه ويطع الى رافيا وفي الحال بدت فيهما نظرة العارس  
الذي يدور على أملاكه ، وفحاة نسي مكاب لم يخط بهما فأطلق سراحها بسرعة  
وأنهض واقفا على قدميه وقال .

« يا له من مكان كتيب هيا بنا يا رافيا انصر قد توقف وراح الوقت لأن  
نعود الى البيت »

ركب رافيا الأريكة ومدت ذراعيها أمامها ثم قامت بتسوية شعرها بيدها  
وصاحب : أشعر بالقوصى في مضطري .

وطمس مارك بحيل بصرة فيها ولاج التحهم على شفتيه ثم قال  
« يبدو غيبك ، كأنك أصبحت ليلة مصصة فوق سطح قريضة » .  
قالت : « أنصر لي بمسك أبعد »

وسقه الى معادرة الكوخ لتستقبل هواء الصباح . رأت ألسنة من بهت  
الشمس في الأفق وسمعت الضجور تشدو على الأعصاب ماراً فوق نحتاش  
المسمة ووجه السيارة معطاه بصوت المطر مسح مارك رجاح قبل أن يتحد  
مكانه وراء عجلة القيادة ويستقر الى حوز رافيا وانجها صوب أشعة انصباح  
الشرقة . بدرت سمات الفجر تهب عبر البود وبدر الزهور متفتحة وامتح  
شروق شمس برمواج البحر لصعا معا لوحة رائعة التكوين وعندما سألها  
مارك اذا كانت تخب أن يكشف عطلاد السارة ابتسمت موافقة والتفتفت  
أمامها عندما أخذ انهواء ينادي شعرها متطير . انهما يستحقان مثل هذه  
الفرحة الصاخبة بعدما اقتسما سويا ليلة غرية مضياها في كوخ ككب واما

عنى ربيكة حشبية

وفجأة رأى مارك شجرة اقتضتها الرياح من أرضها بعترض الطريق فأوقف السيارة سريعا وكان من الواضح أنه لابد من المرور بمحاداة حافة الطريق شديدة الانحدار إذا ما فكر في أن يدور بسيارته حول الشجرة . ومال نحو رايناها وفتح لها باب لجوارها وقال لها

« من فصلك ذهبي وحملك سيرا على الأقدام من أعرج بسياري حول الشجرة ومعنى ركبك » .

« ولكن يا مارك .. »

قال « لن نأشأ لأمر » .

ودفعها خارج سيارة واستطرد يقول

« سيروى حول الشجرة وانتظري على بعد خطوات منها » .

قالت « أنت السيد » .

وامتثلت لأمره ، لم يمس مارك حطام السيارة الأخرى والمخاض التي أختارها ونسبح بحرؤ على أن يختار مخاطره أخرى وعندما سارت رايناها واستدارت حول الشجرة تبست أن المسافة التي ستمررها السيارة بالغة الصيق وعنى مارك أن يختارها بحذر شديد فقهر قلبها بين صلوغها وراودتها الرغبة في أن تفعل عائذة اليه وتتوسل اليه ألا يحاطر بحياته وهي وسمه أن يترك السيارة مكانها ويعلق نوابها ويطلب من سليلو لحصور لإستعادتها من هذ المكان . لكنها ما كادت تبدأ في العودة حتى رأت مارك يدير محرك السيارة ويسير بها بين نهاية أعصاف الشجرة وحافة لحبل .

تسمر ب قدما راينا ويدت كالتمثال لأصم لا يتحرك منها شيء سوى شعرها لأحمر مختاير وتوقفت أنفاسها وهي ترى السيارة تسفل من الممر الضيق لتتعلق الى الطريق الواسع ، وتتوقف الى جوارها ويقف مارك لها الباب ويصر اليها بطرقت متساهله ويقول لها « إرحني » .

وقفت جاحضة العينين ولم تصور أنه يحاضر بهذه الطريقة فانتابها عصب شديد هرها من رأسها الى أحمص قدميها ، قالت له

« لماذا تشدني الى حانث ؟ إذا كتب دربع في أن تعيش مع أشباحك فمماذا لم تتركني مع جاردى ؟ به سوف يهزم بي » .

« رايناها ... »

وراحت تبتعد عن السيارة ثم بدأت تخزي في كل إنجاء ولم تكرر تكثرث بما قد يحدث وسمعت ورادها صوت خطوات تقضي أثرها وأحست بحشرجة في قلبها عندما أطلق مارك عنى عقبها وأمسك بها

« رايناها .. أنا أفس أنني أفرعك »

ألقب نفسها عليه وقالت

« أنت لم تعرفني ولكنك أرضني كيف يبدو راجنا في صورة مسرحية هزلية ساحرة جوفاء . أنه بكر شيئا غير ذلك .. ليس هناك حب ولا عاطفة لاشيء البتة سوى الذكريات التي تحيها أوه .. لماذا لا تتركني وحدي ؟ هل تعرف يا مارك ~~بماذا فعلت~~ بي ؟ هل يهملك ذلك كثيرا ؟ » هزت رأسها وانعكست شمة الشمس عرس شعرها هذا متألقا بينما كانت عيناها قد فقدتا علائقها واستطردت تقول

« عرفت الآن الى أي مدى أنت تهتم بي ، من أعرج لك .. مصفقا » .

وبخلصت منه ... وعادت الى السيارة واستقرت في مقعدها ، وكان الصباح ممسما بحمل السكر فلم تعد تسمع رفرقة العصور ، ولم تعد ترى ررقة السماء أو انياه العنصية للمحيط ولم تكلف نفسها مشقة ان تطلع الى مارك وهو يتخذ مكانه الى جوارها ليقود السيارة . كان وجهها باردا ولم تعد شفتاها يرتخقان ، تملكها تقطع بارد فم تعد ترعب في التحدث او حتى سماع أي حديث . واحتتم مارك صممتها وهو يتخذ طريقه الى منزل السرو

مرت الأيام بعد ذلك حارة ، لم يأت سليلو الى البيت ، وحلال النهار كانت تقوم راينا بحولة في القرية وترتقي اللل حتى تسمع قمته أو تستفي في تكاسل على الشاطئ ، وتسلمت رسالة من جاردى وأحابت عليها فوصف له كاسيل موتني باستفاضة ولكنها كانت مقتنصة في الكتابة عن حياتها مع مارك . وسوف يعزو سبب اقتضاها الى حجلها الطبيعي وفي ختام الرسالة بعثت بصيانتها انطية الى رردى ولن تستلغ الكتابة اليه بعد تلك الرسالة التي وقعت في يدى مارك

ولم يحاول مارك الإشارة الى الرسالة الناقصة ثانية وكانت تدرك أنه مرأها مرارا ، بل أن يلقى بها الى لبار وأنه يختصر معها عبارات كسنتها كاملة . من يبيها عازره في تلك الساعات التي أمضيتها معك . كيف تستطيع أن تقع مارك بأن يحدث وحده هو الذي ملأ هذه الساعات التي أمضيتها معه

إتحدت رافيا صديقها في مكتب بريد القرية لبحث برسائها، وفي صريح عودتها هرب بممرل حلفت بياحه سيده يرتدى ثياباً أسود اللون ويضع إحدى شرائط لريّة تنويفت يدي إحداهما بالشريط وسألتها إن كان في راسها شروء . دعته لسيده إلى دحل البيت للفتي نظره على غيابه محتفة من صبح يديها ، فاشترت ياقة حمسة وزوجاً من الأساور . وقالت المرأة أن أسماها فيرتيويلا وهفت من رافيا بانساعة وقوه أن تمكث قليلا وتتاول فتحاتنا من نقهوة معها ، وكان إتياد طرقات لقرية حملها شعر بالظلمة فحسنت إلى مائدة تكسوها امرأة بوشاح منحرير لاروق واضطرب امرأة سرعة تجول في مطبخها الصغير وتعود بالفطائر لتقدمها لرافيا فكانت لذلك .

قالت رافيا : يجب أن نسمي طريقة عمل الفطائر ، أعدت طهر بعض الأعصمة قبل رواجي ويجب أن أعيد المحاولة ثانية وتخديني لرعه إلى عرو المصبح في بكرا ، ولكن دواجو كاستا بدير كل شيء وربما أحب أن أندخل في شؤونها .

وجدت فيرتيويلا في وجه رافيا وأثارتها الدهشة بهذا السر الجديد ثم قالت ببطء : أنت تختلفين عن سنوينا دونانا فهي كانت تدير كل شيء ولم تخاف أن يشري مني أحد الشرائط لتزين بها نوبه بل رعتاد أن يشري لياها من روما وكانت أيقنه ومحبوته جد .

قالت رافيا بهدوء : رأيت صورتها ، كانت فائقة .

قالت فيرتيويلا : كانت تبدو سيده عظيمة .

وأحسب رافيا بصره ساحره في صوب فيرتيويلا كما أن صبرها كانت تدعو إلى التساؤل وتجنب فيرتيويلا صديق سكتير موضوعا هو مائتة وساموت عنه أوراق الكونشيه .

بها سيده عظيمة مثلك ، هل تحسب أن قرير ضالعت ؟ .

وصعب فيرتيويلا الورق وانكها بالصور على أحدها فوق المائتة ومن قبل رافيا وهي تقول : أنت تعيس أنت بريدني قراءة حقيقي ؟

هرب مرة رافيا بالإيجاب وبت في صوبه امرأة عجزه بوجهها الذي لصحته شعة الشمس وثالثه الأسود يدي يكسو رأسها وكنت عيها مستعنين على وجه رافيا وقالت لها :

« لا تحافين من قرء الورق ولم قد يكشفه لك ؟ ولا يروذك الشئ

قيما يقوله لك ؟ » .

هرب رافيا رأسها باليقي وفانت : أبدا أنا ستنة وهذا معاه أني لأسحر من السحر وأؤمن بوجود أشخاص لهم القدرة على قراءة الغيب .

« إذن إقلي ثلاث ورقات لتبدو صورها أمامي » .

امتثلت رافيا لطلبها وقامت بمصيفتها بعص الأوراق وكان الهدوء يسود البيت إلا من بعض الأصوات التي تأتي من خفيف الضبط الموجود فوق السطوح وبين لحظة وأخرى كان الرتان يرفس المربط وكأنه يتململ من صحبته ، وأخيرا قالت فيرتيويلا : « .. هناك إحتمال بتطرك يا سيورا . هل تريد ؟ هناك مهرج في أول ورقة وقع إحتيارك عليها ، وهو مستعرق في الصحف أحل . إحتفال وقت طيب لك » .

التصمت رافيا وقالت : من ربما يكون إحتفال مادري روراريا الذي مسقوم بعشاده .

« أب والسيور .. » .

« أحل . إنه يربع في أن سده إلى هناك هذا العام » .

هربت فيرتيويلا رأسها ثم ركزت عيها السوداء على الورقة الثالثة وكان الورقة الثانية لم تثر اهتمامها كثيرا . وتمتمت قائلة :

« هناك طائر ماحضة سوداء ، إنه بدير نحس يا سيورا ! من يحتمل أنه يمي . »

ونمهل قليلا لتفحص وجه رافيا التي سألتها :

« ماذا يمكن أن يعني ؟ أرجوك أخبريني » .

راحت فيرتيويلا لتعط الورق ثم قالت .

« أوله . وقت غير سار ، ربما إختيار سيئة أه ، ولكن هذا مجرد تفسلية ويجب عليك ألا تأعظي الأمر باهتمام بالغ » .

وقفت رافيا وقالت وهي شاردة الفكر : أبدا ، يجب أن أعود إلى البيت ، أشكرك على شرائط الدقة والأساور ، ستمو حمية على نوبتي الأحصر »

وفي طريق العودة إلى الكارا أحدث الأفكار بطن في ذهنها حول مائتة أوراق الكونشيه . وحزوت أن برحي نفسها أنها مجرد تسلة ولكنها ما كادت تقترب من مرس السرو حتى حلق طائر موحش أسود اللون في كند السماء . كان انططار الأسود الموحش الذي رآته في الورقة التي قسمها أمامه

فيريويلا . وعندما دحلت فداء البت وجذب مارك يقف في ظلال إحدى  
عجواب الممر بعث لفاقة بيع ، سرعت نحوه وهي نمسك بانطرد الصعير  
الذي يحتوي على شرائط الزينة وقالت له : « هالو » .

وأرادت أن يصعب دراعه حولها وأن يطرد دواء رجولته البرودة التي نملكتها  
مد لحظة وحيرة ولكنها كانت تشكر من البرودة نحوه لعدة أيام مصت ولم  
يبدل أي محاولة لكي يلمسها .

سألها : « أين كنت ؟ » .

قالت : « ذهبت إلى القرية واشترت بعض شرائط الزينة » .

وأحست بشيء يختصر حلقها ويختفها وبدا لها أنه يدرك حاجتها إلى  
الراحة ثم استطردت تقول :

« اشتريتها من سيدة تدعى فيريويلا جلست إليها واحسنت فنجانا من  
الفقره معها » .

قال وهو ينفخ رماذ السيكارة :

« حسنا أنا سعيد لألك أقمت علاقات صداقة مع بعض الناس » .

أرحت حفيها وأحست بالدموع تطرف من عينيها دحست وعمرت الصلاة  
التي تزدى نبي درجات السلم وفي هذه اللحظة لم يد لها ممر السرور عريبا  
عنها زو وحيدا فوق الجبال ! .

## ٨ - خيانة في العيد ؟

كانت أشجار الكروم مثقلة بتقايد العنب ، وكان عصيرها حلوا لكن  
رافيا أحسب بمرارة عندما بدوته أن العقايد لم تكن معه بعد عصرها  
الجدير أبعد فوق الأشجار وحداثق السموم نفوح برالحة بفاذه ، كل شيء  
بمعهم بالحياة يحمل رافيا على انهروب إلى المعارة حيث تقف كنبيا أو ترمب  
أضامها في السامورة وتأن ملها في المستقبل . وأحياء تمر بها ساعات تستمتع  
فيها بوحدها قل أن يقع حادم عبيها حلوتها ليدعوها إلى تناول طعام العداء  
أو ساول الشاي مع راث . وعندما تأتي روحه شركاء مارك في العمل لربارتها  
كل يلخص لها انها تمتعت بالمقدرة على أن أسوس قياد رجل قهار مثل مارك  
وكانت تضحك قائلة :

إسي لا أقوى على أن أسوس مارك ولا كنت مثل الهرة الصغيرة التي  
تخاف أن يروض لمر » .

وكانت بعض السرة يسألها « وهل تطرق حديثه معك إلى الكلام عن  
دوناتا ؟ كانت فتاة جميلة ولكنها لم تكن مرة صغيرة » .

ولم تشهد دويحو كستا مثل هذه المراتب التي كانت تصرح فيها بالساد  
مثل هذه الأشلة ولكنها كانت تحب أن تسمع ما دار في هذه النقادات وبدعو  
رافينا من حين إلى آخر إلى صالونها لتتناول معها كأسا من الشراب .

وفي إحدى المرات كانت تهر كأسها وهي تستمع للحديث الذي دار بين  
رافيا وصيوها وطراتها مسلطة عليها ، ولكن رافيا هربت من نظراتها يستع  
بصرها في الشراب الذي يتراقص في كأسها وتنايتها رغبة مفاجئة في أن  
تتمطي حوادها وتطلق به . أسرع إلى عرفتها وبدلت نياها وأرتدت سروالا  
وقمصا وعصفت شعرها وطوته تحت فبتها وبعد عشر دقائق عمتصت صهوه

\*\*\*

جوادها ، وانصبقت لى رحاب الشمس التي كانت لاززال نقص على الكود بأشعتها . كانت هذه الأيام حارة وطوية ولكن الريح كانت تهب دائما عبر السهر الناعم المغطى لمطل على البحر ، وكان من دواعي السهجة أن يراعى امرء بجوده لينقسم الهواء الملم رائقه معادة وأحسب رافيا أن السجود يطير بجلاء تحويه سعادة لا تنقل عن معادنها وهو يصبو لى رحاب الهواء الطلق حتى يبعث حدود السهر وعنى حين فحاء طارت فمعتها من قوى رأسها وكان لراما عبيها أن تترحل شتيتها ولكن الهواء حمل لقعة بعيدا حتى سقرت عند أكمة إحشائش تقع على حافة الجبل الصخري الشاهق وعندما انقصت على لقعة مسمكها بلدها عث بعد السجود رجلا وفناء بجادان الحديث وكسب الفتاة دار شعر سود اللؤلؤ يتظاهر مع سمة الهوء وتتحدث باهتمام شديد معوضها أحضرت عقه يدرعها ودمت وجهها فى وجهه ولم يدفها عنه وإنما أخذ يمسها الى صدره .

كان لعشب يبدو أطول من الأنسب فركمت رافيا وراح تخدق فيهما يعين شائتهما بروده النضج ، إنها سسلع ن تعرف الى الرجل فى وسط أى رحيم ولا يمكن أن نحصى شخصيته وهو واقف مع الفتاة . بهمس رافيا وابعدت وتذكرت الفتاة التي كانت بين فراخي مارك . إنها لفتاة الحافية القديمة لتي شاهدتها فى المطعم حيث قامت عني خدمتها بتقديم أطباق السردى . أحتى الجواد رأسه يلتهم العشب وحينما أراحت رافيا رأسها على سرجه أدار رأسه ووجهها نظرة حنان وكان بهجتها المؤودة انتقلت اليه لم يكن شعور بالمصعب أو بالصدمة هو الذى اسابها وربما شعور بالحر لأن مارك أحبرها على السراوح مه يمسها كان فى وسعه أن يحد سعادته أو ربما يستطيع أن يمسى ماضيه مع فناء من بات أهله وتذكرت ها وتحت بحريه كما يحبه هو وتعه عقد أهل سرديا وتسير شواظهم .

نهدت رافيا وتنهت جوادها بدوره وأدارت رأسه ليتخذ طريقه الى الكارثيسيريسو عائدة الى امير مرور مساء الكروم . واعتذرت عن الهبوط الى عرفة طعام تتناول لعداء ، ولعلت اعتذارها بها سأولت بعض عقائد العشب الفجة فأصابها بزلم خفيف فى معدتها .

ترك مارك رابطة عقه غير معقودة واقترب من فراشها واتحنى عليها وتحسس جبينها بيده وقال لها :

« أنت تمانين من حمى خفيفة ، سوف أمتدعي لك الطبيب » .

أجملت من لمسة يده وقالت :

« لأرجوك لاتنص يا مارك ، سأشعر بنحس حالا . كل ما فى الأمر أنني لأشعر بأذى رغبة فى تناول الطعام » .

قال مقترحا عليها : « ربما وجبة خفيفة تناسبك » .

هرت رأسها بالرخص لأنها لم تكن تشعر بأذى شبيهة للطعام وكان كل ما ترع فى هو أن يدعها وحدها فحطت عيها وألقى انصاح بصوته فهدت رافيا صائغة وحرسة .

سألها : « هل ترعس فى أن أمكت الى حوارك ؟ » .

ندمت **فمها** كلمة : « لا .. لا .. سأكون بخير » .

« ما بك يا رافيا ؟ » .

نظمت أنه فرأ رابطة عقه المحبوبة وشعره ، أشتعت وبدا له كأنه كان متسجلا فى رساء ملايمه وشعرت بصفة بجلاء تحترق طهرها عندما أبدى رغبة فى المكوث معها . وردت لو أبدت له احتفارها لرعته فى الوقت الذي وكمرس فيه كل أنكاره وأشواقه للفتاة الأخرى .

قالت له : « من أريد أن أفرد بنفسى .. أشعر بألم خفيف » .

« لأنك تناولت الحصرم ؟ » .

أناحت بوجهها عه ولكنه حس بنفكه الى حوارها على نعرش ومسك برأسها المتوج بالشعر الأحمر وانترب حصانه فوق الوسائد البيضاء وتلاأت عيناها الخضراوان وسط امتقاع لون وجهها .

سألها : « لم كل هذا الحصرم ؟ هل قاتت لاولا شيئا أنرك ؟ »

« انطباع بأن وشائج الصداقة بدأت تربط بينكما » .

« هل من الضروري أن أقدم لك ميسر بكل حاله نصبة أمر بها ؟ »

« تدعني أنعم بالهدوء ؟ » .

« أنت فى حالة نفسية غريبة وهذا ما يقلقنى يا رافيا » .

« لاتبالى البتة يا مارك ولا تقصد طعام عذائك بأمرى » .

شاهدت نظرة حجاب فى عينيه وتساعلت هل يجروه على أن يمانيتها ؟

نوست الى قائلة : « أتركنى وحدي أنا .. أنا لأأحمل أن لمسنى أحد

الليلة »

سألها بهدوء : « أيهما تكرهين أكثر .. تدوين أم قبلائي ؟ » .

وشعرت مرة أخرى بطننة من الألم تخترق جسمها ، وارتسمت صرخة مكتومة على فمها سرت في أوصافها ، فأطلق مارك سراحها وسرورها فردد ساكنة فوق العرش ثم عاود عرجتها إلى عرجته وأعقب الباب بهدوء وراءه . ولم يبق بريارتها ذنبه وبعد نصف ساعة جادتها صبيبة عليها شريحة من الطييح وقطعة لحم وبساطس وإلى جوار كل هذا رأته ورقة مطوية وأحست رافيا باهتزاز أصابعها وهي تقوم بفحصها ، فقرأت :

« استدعيت في مهمة عمل وأرجو أن أعود في نهاية الأسبوع مع موعد الاحتفال بعيد مادري روزر » ، ربما يكون حينئذ في أحسن حال . مارك . حذقت رافينا في العطف الأسود الفاحم الواضح وضوح الفتاة ذات الشعر الأسود الفاحم التي كانت في أحضان مارك وبهدوء سحقت الورقة ، كان يعلم تماما أن رواجها بنوبة التوتر ابتعاد ومع هذا أحمرها على الرضوح لرجته وزعم الشك الذي رده عن علاقتها برودري فإنه هو السبب في أن حياتهما لا تطلق . تناولت صاعها دوب أدنى إحساس بمدقه ، ثم جلست تجاه أبنائه وراحت تنظف إلى القمر وهو يعتلي قمة أشجار السرو ، وكانت أشعته القصية ولحجوم المثلثة تعمل صمعة السماء كما نحي هي وحدها ؟

\*\*\*

استيقظت رافيا في صباح يوم العيد يحيطوها الاحساس بالاضطراب والأمل الذي يخالف كل شيء . إنها سوف تستمتع بيوم كامل بهرب فيه من انكسار . يوم كله مرح وإسلاق . عاد مارك متأخرا في الليلة التي سبق يوم العيد واستطاعت أن تسمع حركاته في الغرفة المتاخمة لعرجتها وهو يفتح الدولاب يسقط حذاءه ربما نتيجة لإضطرابه بقدوم **يوم** التالي .

أحسد رافيا حكاما باستعدادتها وصيغتها في ارتداء ثوب الحدة الكبيرة ديميليرا وكانت بوضعية درجة بالعد ، وعلمت رافيا معها أن القرية بأسرها تنطلق إلى احتفال في هذا اليوم . كل سرور تركب عربة مريية أروع ربة ، ومزودة بالشرايط الملونة وحى الزئنان يكون مكسوا بالورود .

ابتسمت رافيا وقالت : « أظن أنه احتفال ديني » .

« أحل يا بادروسيثا . تقدم صورة مادري روزر يا الموك الذي يحمل المشاعل بينما يقوم الكاهن بتوزيع البركات على كل إنسان ثم يبدأ المهرجود في أداء ألعابهم الثابتة على أنغام الموسيقى . »  
« أرى مدى لهفتك يا روزينا على الذهاب إلى هناك . هل سيدبك صديقك معك ؟ » .

توردت وحتنا روزينا بحرة الحجل وحفست حبيبها وقالت

« نوبو صبيحتي معك على ظهر جواده ، إنها الطريقة التي ينهب بها المليون إلى الإحتفال » .  
« قالت **الليلة** يا له من تقليد جميل » .

ثم **سحبت** صندوق مجوهراتها وتناولت صليبيها ووضعت على صدرها فوق بلورتها البيضاء . لاحظت وجود قرط كانت تافرا ما ترتديه أختلت وأمرت روزينا أن تنقب ساكنة حتى تشته في أديها فراد تورد حدي الفتاة وهي تقول  
« بادروسيثا .. هذا القرط لي يا ؟ » .

« أجل كم هو جميل في أديك . والآ أنطلق واستعدي لذهاب إلى الاحتفال مع صديقك نوبو » .

أمسكت الفتاة بيد رافيا وراحت تفحصها وقالت لها

« أنت طيبة القلب لسي سعيده الحظ أن أقوم على خدمتك يا بادروسيثا »

« **إل** انطلق الآن ولا تجعلني صديقك يطول إنتظاره » .

وهرت الفتاة رأسها لتسمر باهترار القرط مثلثي في أديها وبإتسامة سعيدة أسرعت تعاد العرفة وعندما تبثت رايث الصليب حول عبقها ساءلت لماذا لا يحيطوها الاحساس بأن تكون حاية البان مثل وصيغتها التي إبطفت إلى الاحتفال بصحبة شاب يجيها .

كان الهدوء يسود العرفه المحاوره وحذست أن مارك هبط إلى الدور الأرضي لتناول طعام الإفطار وشعرت بطننة ألم لأنه لم يأت لروزيثا وهي ترددي ثوبها الجميل الذي قدمه لها . راحت تتأمل نفسها في المرأة الطويلة المشقة في الحوزة وشار مطهرها على إصحابها . كان الثوب أحضر اللون بحافته أهداب قمحية اللون تلام بشرتها وشعره عقصته في تسريحة بديعة وأشرب عبقها من بين ثيابا فتحة البلورة وتزلقت عساها بحصرة الجواهر وبالرغم من تجاهل مارك لها والاضطراب الذي اجتاحتها إلا أن عرجها قر على الاستمتاع

بكل لحظة من لحظات الاحتفال .

وتساءلت : هل تتوقع وجود سليلو هناك ؟ اقتطعت مداعباته وتمنت أن تراه . وشعور أشبه بشعور فتاة تعيش في أوائل القرن جمعت أطراف نوبها في يدها وأباحت سيليها وراحت تهبط درجات سلم برج العماري ولم تقابل أحدا في طريقها فالحمد لله ، أحارة للمشاركة في الاحتفال لما شعرها أن الكازم أصبحت مهجورة . عبرت راسا الهوى ودلعت إلى عرفة المعيشة حيث وجدت طعام إفطارها معد على المائدة : القهوة .. والسكر . والعلل ، وسادلت وهي تختبئ للقهوة إلى أي مكان يوجه مارك الآن / ربما يكون يصحبه لابونا التي ذكرت في الليلة السابقة بأنها كانت تفرص على مشاهدة الاحتفالات ولكن عظامها لم تعد تساعد الان على مغادرة البيت .

انساب رافينا لفتق همت تستطع المكوث فاستبعدت إلى الصناد حيث وقعت تستمتع برائحة الشمس وراحت تتناول قطعة من الحمر المقلد علته بقطعة من لعلل ويسمى كانت تضع شفتيها ساهي لسمها صوت حوامر تقطع في الأرض ، ولوح لحد أدوس في السماء وعلى ظهره مارك .

هر الحواد عرفه وبربر عضلاته تحت سرحه المصنوع الأسود وكان مارك يرتدى بطلوبوا قصيرا أسود اللون وصديري مطبرا قوي قميص مكشكش وأكذت حافاة قبعتة لزلق عينيه . كان يبدو في كل شبر منه واحدا من أهالي صردينيا أو فارسا متكبيرا يطلق للصيد بصحية الصقور وكلاب الصيد .

قال مارك رافينا : تعالي إصعدي وإجلسي أمامي فوق الحواد .

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يشدها عباة فقد سحرها بالشرح وبحركة قوية وفهما وأجلسها أمامه واقشعر يدها قشعره حصة مفترقة بسور حامي ، أمسك بها بشدة بينما أحد الحواد سارح العدد ليتطلى إلى عرص الطريق وبعد لحظات أصحبا صحن الموكب المزج الصدي كان يسلك طريقه متجها إلى مجال حث كيسة مادري وزراريا . وكانت الحال محملة بأكوام من العراش ولأصناف الهارجين والعربات المطسة بالموسى البرتقالي والأزرق ، تطايرت أشربة الزينة في الهواء وحياد عربية وامتطاها المشاق الذين راخوا يطلقون أصواتهم بالفناء على أنغام آلات الأكورديون .

كان المصير كحلج الحصيل رومسا تدمر كل طفل المأخوذ الذي لايجزو على الحديث أو الحركة خشية أن يتجر سحر الحلم ، وشعرب مارك يختبئ

انظر إليها وجه نحو على التفكير في الأيام الثلاثة التي أمضاها بعيدا عنها فكانت مأجودة بسحر اللحظة التي تعيش فيها . وتطلعت إليه وعطت رأسها يوشاح حريري تبقى به حرارة الشمس وقالت له :

« المصير يدع ، أليس كذلك ؟ أضرر إلى هؤلاء القصبة الأربعة الذين يستصون البعل وهذه المراء التي تحمى الطعام فوق رأسها ، عسى فكرة يا مارك نسينا إحضار الطعام لنا » .

صحت مارك ، ربما حتى البال مرحا ، ولم تستطع أن تمنع دهشتها من رؤية هذ الثائي الذي لاح في عينيه وقال :

« قدمت زوجين من الغنم للحفل الذي سيقام هذا المساء ، وأما عن طعام العشاء فربا سنبطه العديد من الناس الذين سيشارعون إلى تقديم الفطائر والحجين والفاكهة ولأدري كيف سنأكل كل ما يقدمونه لنا » .

رداب عباة عمقا وسودا غدا ، راح يتعسر في رافينا ثم أردو يقول : « لم تشهد الاحتفال منذ مدة وأحسني أن يعبروا الناس بكرمهم » .

ويتما كان مارك يتحدث إلى رافينا أطلت امرأة من عرجها وقالت : « إنه حدث جميل أن يشارك الدروب زروخته هذ العام فلتشارككما مادري وزراريا » .

« وأنت أيضا يا سنورا وزوجك الطبيب وأولادك الصغار » .

وأحست رافينا بدراع مارك وعندما تطلعت إليه رأت في وجهه هذا الجمال الأسمر الذي أشارت إليه السيدة هيرينولا يوم اشترت منها أشربة الزينة إذ قالت : « إنه أشبه بأخير بل رجل تمسقه الفتيات ! » .

واليوم يبدو مارك لعمره اثمانية وهو يرتدى الثوب السردى وعباءة فرحتان بمنظر الموكب والأطفال والجمال المتوحش للجبال ، كما رأت فيه رجلا لايتحرق إلى الانتقام لعمه رفعت يده المكسوة بالدوب في إيماءة تم عن عاضفة وكأنها يريد أن يحص من ذكرى الألم الذي اعتصر عظامه وبشرة يده التي احترقت . ولم يتبدلا الحديث ثامة حتى توقف الجميع لتناول طعام العشاء في مكان يقع عند منتصف الطريق المؤدي إلى الجبل ، وما كاد مارك يرفعها من فوق الحواد ويهبط بها إلى الأرض حتى أحاص بها العديد من أفراد العائلات الذين راخوا يقدمون لها ألوانا من الطعام .

بها برهة تسم بالمرح ، جلسا على العشب وراحا يلتهمان الحمر مع



شرايع اللحم والبرتون الأسود ، ويحتسيان كؤوس لشراب ، وكانت الأعاني  
تتردد على أنغام الموسيقى عندما حان الوقت للعودة سارا الى حيث كان يقف  
أدوينس بجوار حصون ، وشعرت بيدي مارك تكتمهما بقوة حليفة قدس مها  
صرخة قائلة : « مارك » .

قال لها . « أينها الساحرة الصغيرة عيناك في حصرة أوراق الشجر يتلأأ  
فيهما سحر يحطم قبضتي ، أو يحليني الى تمثال أصم » .

تلاحقت أنفاسها عندما حديها بعيدا عن السجود واجتمى بها وراء صحرة  
كبيرة تتاحم الجول ، وهناك أحملت وعصت عينيها بدراعيها ومن مارك  
سجودا وركب بمرقعه على الصحرة وراح يتصنع اليها وتهللت حصلات شعره  
الأسود فوق عيبيه حيث تألق فيهما جوية الشباب المتوحش . وقام بحل  
جدائل شعرها . وأخذ يلف الحصلات حول عفتها الأبيض وسألها عن رودري  
من جديد فقالت مدافعة :

« هذا موصوع ليس له مكان في يوما هذا أرجوك إيس رودري وأنا سوف  
أنسى أمر تلك الفتاة » .

وتولقت عن مواصلة الحديث عندما ضاقت عيناه وازدادت حدة وسألها :

« أي فتاة مقصدين ؟ » .

قالت : « أنت تعرف ما أعنيه . اجمعين شرعوا في الاستعداد لرحيل  
وحير لبا أن رحل معهم » .

ألقت رافينا نظرة متعجلة على وجهه وتجهمه وحجما خطا خطوة واحدة  
أحدثت في الدوران حول الصحرة هدة مه . وسارت الى حيث كان يقف  
أدوينس وكان الناس يستعدون لنقص نصف المسافة المتبقية التي تؤدي الى  
الكيسة فوق الحبل وكانوا يرددون أن الريح وحدها هي التي تدق أجراسها ،  
وبلا تفكير أسرع نحو الجواد ووضعت قدمها على الركاب وسمعت صرخة  
عاجلة : « رافينا » .

ظلت أنها صرخة غاضبة فأمسكت بهرف أدوينس ليساعدها على  
وجوههم عندما ترجع الجواد الى الوراء نسقي بها على ظهرها وقد تعلق  
قدمها بالركاب وشعرها اللامع يتجرحر على الأرض . تماثلت الصرخات ته  
الى الحظر المباحث فأمرع مارك الى الجواد الذي ارتفع ساقا الأماميات  
عانيا فأمسك بالمجام ليكبح جماحه ويهديء من روعه وفي الوقت نفسه

سارع شاب لإنقاذ رافينا التي كانت تمض شفتيها من شدة الألم .

أطلق مارك سراح قدم رافينا من قبضة الركاب ولم تستطع أن تكتم  
صرختها من الألم الذي يحم عن التواء كاحليها ، مدبوها البصر قبلا من  
الشراب وقام البعض الآخر يقيس قطعة قماش في ماء بارد ثم عصبو بها  
الكاحل . أبعد مارك حصلات شعرها عن وجهها الشاحب ثم قال :

« سأعود بك الى البيت » .

أمسكت بدراعه وقالت : « لا ، إني أريد أن أحضر سعيد » .

قال عاصبا : « عدي سعيد » .

بما كانت بولجوه تطل من فوق كتفه تمتعت امرأة تسأل البادر ونشينا  
أن تترك معها ومع أطفالها عربة العائلة . حاولت رافينا أن ترسم ابتسامة فوق  
شفتيها المرتجفتين ثم قالت :

« أرجوك يا مارك تخلص من الإضطراب الذي يكسو وجهك ، أنت  
تخيمي أكثر مما فعله أدوينس بي » .

قال : « كان من الممكن أن يسمحتك الجواد بحواره . ماذا كنت تحاولين  
عمله ؟ هل كنت عازمة على الهروب ثانية ! » .

عضت شفتيها وقالت : « مارك .. كل واحد منا يعترض طريق الآخر »

« هل تترضين طريقي ؟ » .

تحدته بعينها المضراوين قائلة :

« اذا كنت ترغب في أن أقول لك نعم اذن هي نعم » .

قال مارك : « يوما ما سوف أضعفك يا رافينا » .

وكان أحدهم بهرف الإنكليزية فأطلق صرخة حادة كسرت حده التوتر  
الذي ساد الموقف ، فرمعا مارك فوق دراعه ، وحجما الى عربة بقودها أنان  
هرف ، تتصنع من فوقها رؤوس أفعال صغار دمعتهم أنهم حاسا قائلة بهم  
« أفسحوا المكان للسنور ! » .

وقدمت بظانية لتحلر عليها رافينا ثم أردت تقول

« صعي قدمك فوق هذه الوسادة .. يا سيور » .

انضمت رافينا في رحة الأطفال الأربعة وقالت :

« شكرا ، أتم أكثر طيبة مما كنت أتصور » .

وراحت رافينا تتطلع الى وجه مارك وبعد بضع كلمات تبادلها معها

واستدار وصار الى حيث يقف أنونيس الذي نكس رأسه نحو الأرض ورأته  
يعتلي السرج وعدها حالت بنصرها في العربة رأته حيلة صغيرة ترفع يدها الى  
وجنتها وكان عينها تبالان واثنين سؤالا فأجابتها بركة :

« السبور ... روجي حرح وجهه في حريق ! » .

قامت طفلة « مكبير وجهه » .

وأناحت رافيا بوجهه عندما أحب بالدموع بكاد تظفر من عسها  
وطفقت تقول لمسها « أوه ، مارك ، ريد أن أمهم السب الذي بشما  
الواحد للآخر والدافع الذي يدفع الواحد الى الإبتعاد عن الآخر ! » .

أحد الأمان يسمى ويرقي الممرات في الأرحاء فقامت الأحرار التي نصب  
في برج الكنيسة .

قالت أم الأطفال الأربعة « أوشكنا على الإقتراب من الكنيسة » .

ولاحظ بهم حذران الكنيسة والرجح لظروطي الشكل والأبواب المصوغة  
ورأت رافيا حوادا أسود اللون فوق اتل وفارسه حالسا على صهره في هدوء تام  
يقف وحيدا تكتنعه العربة وقد رأى بعيدا عن صحيح اموك ودقات الرحيب  
التي تعلوها الأحرار ، يابل رافيا وهي تراقه ك هيم يعكر هذا الفارس وهو  
حالس هاك / هل يعكر في بحر مره شاهد فيها الإحتمال أم المرة الأولى التي  
حصر فيها لإحتمال بصخرة دونانا لاند أنهما جلسا سويا فوق السرج وهما  
يرتقيان الصريق المزدوي الى مكيبه ولاند أنه كان يهمس لها على أنعم دقات  
الأجراس أحلك يا دونانا ، سأحلك دائما ، وجهه أدار رأس جواده وأقرب  
من العربة التي توقفت عند حاب الطريق وقال

« مرحبا بك في كنيسة مادري روزاريا ، سدخل ليما بعدا لنشعل  
الشموع ، أخبريني كيف حال كاحلك ؟ » .

إلتزم مارك من فوق الجواد وبادر الى مساعدتها على المعاداة العربة وسما  
سويا صوتا هذنا يقول : « هالو » .

الثمت نحو صاحبة الصوت فوجد الطفلة الصغيرة تتمتع بالثورة الحربية  
التي ترانديها رافيا فانتمس لها وقال « يجب أن أحد السيده معي ! » .

فاهتزت الإبتسامة على شفتي الطفلة وقالت : « أوه » .

مال بجسمه على الطفلة ولمس برقة خدها وقال :

« أنت قريب يا صغيرتي بس معي أحد يشاركني لإحتمال بالند ساكون

وحيدا عندما يطلقون ألعابهم النارية » .

« ليس عندك أطفال يا سنبور ؟ » .

« لا .. ليس عدي أطفال ولكن السبورة روجتي تريد أن تشاركني

مشاهدة الألعاب النارية هل تسمحين لي بذلك ؟ » . ابتسمت الطفلة

الصغيرة وهزت رأسها بالإيجاب وتركب يدها التي كانت ممسكة بالسبورة

الختراء وحمل مارك رافيا وحيدا تطلعت اليه وحدثت الإبتسامة عامصة من

وجهه وتحولت الى ككبه ~~بجلاشك~~ أن الأمر لايمكن تجتبه . كان وجود طفلة

ساحرة لايد أن يذكركه بانه الذي فقدوه وعندما لوح بيده عادت النظرة المظلمة

الى عبيبه وهان « تعالي . يجب أن نحد مكانا مصفي فيه الليلة ونقيم فيه

العرائش حتى يترك الأحرار أننا قد ححررنا مكانا . هل تعرفين أنه من

الضروري أن مصفي هذه الليلة في أحضان التل ؟ » . هزت رافيا رأسها

بالإيجاب ورأت المصليج بدأت ترسل أصواتها ودقات الأجراس راحت تدوي

وتتردد أصدؤها فوق الحال ، ولمس كل قلب بللمة ساحرة وبعد قليل

سوف تشتعل الآف الشموع فتد للظلام الذي يسود مدخل الكنيسة ، ولاند

من مرور موكب حاملي المتاعل الذي تتقدمه صورة ماردي روزاريا ، ويحملها

أحدهم غالبا حتى يتاح للجميع رؤيتها . وسوف تحترق الألعاب النارية كند

السما ونفاد الموائد ويعرف الموسيقى

كانت التلال شاهقة الإرماع حتى لامس قممها النجوم التي كانت

أضواؤها تتألق في عبي واينا .

\*\*\*

هذه الدمية للطفلة الصغيرة ديب العيسى الكبيرتين ، ربما مارها ثانية بمحض الصدفة .

شعرت رافيا بالسعادة لأن تجد مارك يتذكر صديقته الصغيرة التي كانت تجلس معها فوق العربة التي يحركها الأتان الهريل . وأدنت إعجابها بالدمي ، بينما كان مارك يدعم ثمنها

سألها مارك : « قلت أنك عرفت مستهلك ، من أنتحرك بهظك ؟ » .

قالت ك : « إنها امرأة تعيش في القرية تدعى فيرتوبلا » .

« تقولين فيرتوبلا ؟ » « أه تلك المرأة التي هجرها ابنها ماركو راعي الغنم ابن الشامية عشر ليلا الذي ضجر من حياته وانضم الى عصابة قطاع الطرق بعبه وعد العيش » .

« الاستطيع أن تعمل شيئا لإنقاذه ؟ إن أمه امرأة طيبة تعمل بجد وقلقة على نفسها » .

« يجب أن يترك ماركو العصابة قبل أن يمد المرء يده لمساعدته ويتكامل بأمره . إن المشكلة يا رافيا تكمن في أننا نجد الناس غير مستعدين دائما للعطاء ، عندما نطلب منهم بذل جهودهم . حاولت في اليوم الآخر أن أشرح السب . ولكن ... أنظري ... هاهي دي الطفلة الصغيرة ذات الشريط المعقود في شعرها » .

كانت الطفلة تجلس مع عدد كبير من الأطفال أمام مسرح العرائس تخدق باهتمام فيما يؤديه الدمى .

تمتم مارك قائلا : « الأصعب يحسن مشاهدة مسرح العرائس » .

وأصحت رافيا بالهزون يشوبه صوته وحطمت زلّة كان يقف هنا مع ابنه مدد ستيب ، وكان يصحك مثل هؤلاء الأطفال الصاحكين ، وعباء تتألفان بمثل الصديق والسعادة اللتين تتبعان من عيون الأطفال .

قال مارك : « أعطها الدمية » .

ورشاح بوجهه الذي أضاعته شعله من عود الثقاب الذي أشعل سيكارة وأرجى الدخان ستاره فوق التعبير الذي بدا في عيه وهما يبارحان سويا بعيدا عن صوت ضحكات الصغار .

أقبل الليل ... وبعد الانتهاء من مشاهدة الرغبات البارية جلس الناس جماعات وانتفتت كل جماعة حول ابار التي أضمرت في الهواء الصق

## ٩ - المكتوب ... هو المكتوب

تفايرت الألعاب البارية ونفجرت ثم أمصرت وبلا من الأصواء الملونة على الوجوه المشوشة دهشة وكان الشواء محملا في أسباح تنقب فوق محم متناحج بالدر . وكان الأطفال يهرجون وهم ممسكون باللوبات بينما أخذ بائع متجول يعرض على لحماهير الحلى الصغيرة وقام اخري بيع الدمى المكسوة بالثياب في حين وقف عراب أسود على كفف عجري وروح ينتقد روراق الكونتيسة من رف صغير وحيدا قرا العجري المسفل لأنثى من العتياب انصجرتا بالضحك .

وانهمكت رافيا في التطلع الى كل شيء حتى كادت تنسى زلم كاحلها كانت ترتدي ثوب تقليديا جعلها تشعر بأنها مثل هؤلاء العتيات الصاحكات . وكانت ذراع الرجل السردى تحيط بوسطها فانتابها الاضطراب ازاء احساسها بالسعادة التي تثبت بها كما تثبت هؤلاء الزطفال ببالهم الملونة التي قد تتعرض لشرارة تنفجر .

سألها مارك : « هل تأخذين حلوية صغيرة أو دمية أو عريعين في معرفة المستقبل ، يمكنك أن تتالي ثلاثة اذا شئت » .

قالت منمنمة : « الحلوى الصغيرة لانساسي وعرفت مستعيني ولكنني أظن أنني أريد دمية » .

أومأ مارك سائعا لمعني ، لأن رافيا سوف يضطر الى أن يتطلع وسط احماهير حتى يصل اليه ، وعندما وصل اليهما البائع احتارب دمية ترتدي ثوبا قرمزي اللون ، الصدر مطر والتتورة مكشكشة وشريط زينة رفيع الشية .

قال مارك : « أعطني الدمية ذات الرداء الوردى أيضا » .

وانتقلها وابلوها لرافيا ثم أردف يقول :

ورحوا يتناولون شرائع اللحم المشوي وقطع الحر وأديرت أمكواب الشراب بسما  
رح المشدون يشدون أعالي سردبيا القديمة على آلات الماندولين  
كان مداف الصعام طيبا وكان كسب الرجل مكانا مريحا كي تريح رؤسها  
يسما تالعت ألسنة المهب تلتقي ظلالها على الوجوه التي بدت عليها القوة  
والجمال والنوفاة عكس شعر ريفيا ناكى البار وتلاألأت عيها بحصنهما وهي  
تستمتع إلى أغسة سردبيا روي قصة حب راعي غم وسرها أن يدرك معنى  
الكلمات التي تتردد باللهجة المحبة . وكانت تقول الحياء عمنى أصرح .  
وصححت .. وأنهد أحبها كلها .. أما أنت فأحك أكثر من أى شيء آخر  
ودعه شيء مهم أنى أ تطلع إلى مارك . يسما كانت لاموسيقى  
ولكمبات تحف تدريجيا . وظنت أنها ترى ومضة حان في عييه وسرعان ما  
ذكر لسبب اد دح فجأة قوام يحيل إلى دائرة ضوء القمر لها شعر أسود  
حذبه القدمين نمشت يديها دما صميرا . إنها فتاة المظلم التي راحت تنسم  
وهي تدور بين الناس ثم حطت حطواب سريضة حتى تظلمت تبرزها الحمرء  
في الهواء وتوقفت أمام مارك وروحته وشوهدت ابتسامة على شفتيها يتنوبها  
ناس المص لم قالت : « بادرون ! ! »

كانت كلماها تحمل برة التوسل . وتشتت نظراته بعينها لم بدأت من  
حديد ترقص رقصة لدف . توترت رافيا وهي حاملة إلى حوار مارك خلال  
لرقصة وودت أن بولي انصراف ، ولكن كيف به المسبل وكأجلها يوقفها عن  
أسر وسوف سدو كبريؤها مهينة اد هي قرب من فتاة ترقص لروحها وحده  
رب رافيا أن رقصة لن تنتهي وأصبح فوق حتمالها أن تحبس فكها إلى  
حوار مارك وشعرها يحك دقته ودفع كتفه ينفذ خلال بلورتي الحزيرة  
وكانت رعشة الندف وظلال الغد تطوف بكل مكان في دائرة ضوء لمار ،  
وأجيرا عرب الغتاة ولكن ظمها بقي في المكان فأشاع سحابة من الكأبة على  
رافينا ولم تستطع الفكك من أسرها .

بد الناس يتنايكون وأحدو يسعون لسوم اما في حمامهم او في عرباتهم  
وتبادلوا القفلات وهم يرددون اسهدة بالبعد السعيد . شعر رافيا بيدي مارك  
فوق كتفها وبصيرت ايه بوحشيه عندما حذبه إلى صدره ولكنها سحت  
نفسها دون أن يتبادل قلبه .

قال بسرة باردة : « إنها عادة أن يتبادل اساس القبلات في العيد ، ألم

ينخل المهرجان السعادة إلى قلبك ؟ »

قالت : « أنا .. أنا أمضيت وقتا طيبا . »

انسم ساحرا وقال : « وق طيب ؟ متى تملعين أن تكوني ما -  
وتشعرين بالعاطفة نحو شيء ما ؟ تيلو عليك القسوة حتى يبلغ بك الأمر إلى  
أن تتزعج الأرقام من أديت . هل تدعين فتاة أخرى سرق منك حبيبك ؟ »  
قالت ببرود : « أنا لأصبح أرقام في أدي ، ومرحبا بالعتاة التي تستطيع أن  
تسرق » .

وحاولت أن بعثت منه ولكن ألم كاحبها أفسد عيها المخاوة وكادت أن  
تنهارى ولم تجد أمامها إلا أن تستعين بمساعدة مارك في التوجه إلى حيثهما  
كانت ليلة محملة بئاق فيها صوء الحرم وكانت رافيا اعتادت في رحلاتها  
المدرسة أن نام في اغيمات التي تقام في الهواء الطلق . أما الليلة فإن الأمر  
مختلف تماما . إنها تسمع صوء الريح تشدو أنشيدده عبر الأشجار التي  
تكسو الجبال ، وعندما يحل إلى اليوم فإنها سوف تشارك مارك التدفئة بطانية  
من جلد الضم لتواجه برودة هواء الجبل .

قال مارك : « الرباط يجب أن يتخفف قليلا حول كاحلك . اجسبي  
على هذه الشجرة المتهاوية وسأقل ذلك بنفسى » .

وكان مستجيلا على رافيا مناقشة مارك . وامثلت نظليه وشعرت بقوة  
لمسة أصابعه وهو يحس الرضاة الحزيري ويعيد تثبيتته حفيها حول كاحلها حتى  
لا تشعر بالخدر أثناء نومها .

« هل الرباط مريح ؟ »

« أجل شكرا لك » .

وقف ثم استدار بظهره إلى شجرة وقال : « فلت شيئا قبل إصابة كاحلك  
ولكنني نسيت حتى الآن . لقد أشرت إلى فتاة ... » .

قالت : « مارك ليس الوقت أن انكاس ماسين لمناقشة الموضوع ، أنا  
متعبة جدا ، يوجد هناك أناس بالقرب منا » .

« بالطبع ولكن أجسبي فقط على سؤالى يا رافيا . هل نصين إني على  
علاقة بامرأة أخرى ؟ » .

وقع السؤال عليها وقما مفاجئا قاسيا فقالت :

« إذا كنت تبني امرأة أخرى فمن الخير أن تدعني أرحل » .

ووقفت على قدميها لمواجهة وأردفت تقول :

« لا تحتفظ بي معك يا مارك . أنت تعلم بأنفسا السعادة بيننا وحياتنا تسير هكذا . »

واستدارت لتبتعد عنه وترقد فوق السجادة وودت لو تدخل للنوم قبل أن يلحق بها ، ولكنها سمعت وطء أقدامه تقترب منها ، وتوتر جسمها عندما نام إلى جوارها وانتظرت إلى أن يلف ذراعه حولها كعادته إلا أنه رقد بعيدا عنها . استيقظا مبكرين في الصباح وطويا فراشهما وغادرا المكان ميممين شطر البيت وبدت لهما الجبال خالية من الناس ولم يبق أحد سواهما وخيل لهما أن هذا الحدث لن يتكرر ثانية ، وحدثت نفسها قائلة : « إنني لن أشعر بأنني أنيض بالحياة أو إنني امرأة بصحة رجل كما أشعر الآن . مارك أوه مارك لو زستطيع أن أعرف حقيقة قلبك .. كما أعرف شكل وجهك . »

وصلا البيت قبل الظهر وكانت رافينا سعيدة أن تدخل غرفتها وتفضل جسمها وترتدي ثيابا خفيفة فضفاضة ، وتناولت الطعام وحدها وأمضت فترة بعد الظهر وحيدة . وشعرت أن مارك نأى بعيدا عنها لأن لديه شيئا على جانب من الأهمية يخص مستقبلها يريد أن يقضي به اليها . واستبدلت ثوبا حريريا يثوبها وهبطت درجات السلم لتتظفر مارك في غرفة الإستقبال حيث كانت تلتمس الهدوء لقلبها .. وعقلها ! . أخيرا جاد مارك وبدأ لها رجلا مختلفا وهو في بدلة الرماحية . كان صارما طويلًا متحفظا وليس في صورة السردى الذي حملها فوق جواده لمشاهدة الاحتفال بالعيد . واستقرت عيناه على قدميها اللتين استراحتا على مقعد مستدير صغير . وقال :

« كيف حال كاحلك ؟ »

« يؤلمني . ولكنني سأعيش . ألا تجلس يا مارك . أنت تثيرني بقوامك الفارع وهو يطل علي » .

غاص مارك في أحد المقاعد الوثيرة وراح يبحث عن صندوق لقاتفه وسأله : « هل يمكنكني التدخين ؟ »

قالت : « طبعًا يمكنك التدخين ، أنت تعرف أنني أحب رائحة الدخان » قال : « رافينا » .

ردد إسمها وشعرت إن ما يقوله مارك سوف يحدد مصير مستقبلها وحتى هذه اللحظة كان قلبه لا يلين أمام أي شيء ، كان صارما عندما قال لها

ستزوجيني وستعلمين كيف تعيشين مع وجهي هذا .

استقرت عيناهما على وجهه وكان غريبا أن تشعر بأن ندوبه لم تعد تثيرها كثيرا إلا أنه لم يتعود على أن يطأطئ رأسه ليخفيها عن الناس وأحس أنها توارت عن بصرها وأصبح ما يعينها منه قوته وسحر عينيه . سألته : « ما الأمر يا مارك ؟ »

وتقلصت يداها وفكرت في الكلمات التي نقوهت بها وهما فوق الجبل حينما قالت له بأن السعادة الحقيقية لن تعرف مكانها بينهما !

قال بصوت حاسم المخارج قاطع النبرات :

« سأعقب عن البيت إسبوعا ، لن أخبرك بالسبب أو المكان الذي سأوجه إليه ، ولكن عندما أعود ستكون لدينا أمور يجب مناقشتها وحقائق يجب أن نواجهها . »

برزت عينها وسألت : « ألا نستطيع مناقشتها الآن . هل يجب علي الإنتظار أسبوعا آخر ؟ »

نهض مارك واقفا على قدميه وقال : « أجل .. لقد طلبت منك الشيء الكثير يا رافينا والآن أطلب منك الصبر . »

« نطلب مني الصبر يا مارك ؟ أن أمضي إسبوعا كله إنتظارا ونسأول ، بينما تذهب أنت أينما تشاء ، هل هي رحلة عمل أيضا ؟ »

قال مترددا : « ليس تماما . »

« هل لها علاقة بتلك الفتاة ذات الشعر الأسود التي رقصت لك ليلة أمس ؟ »

توجهت عيناه لتلتقيا بعينيها وقال : « رقصت لي ؟ هل تظنين ؟ »

شعرت رافينا بالبرود يكتنفها واستجمعت شجاعته وقالت له :

« إنني أعرف أنك تورطت في علاقتك مع هذه الفتاة ومن أجلها تنفيب كثيرا عن البيت . اسمعني يا مارك ، ليس من انصحت أن تنتظر أسبوعا آخر نناقش أمر مستقبلنا يمكننا مناقشته الآن . اذا أصبرت على الذهاب فلا تتوقع أن تجليني هنا عندما تعود . »

بدأ التجهج على وجهه وتقدم نحوها وقال : « بل يجب أن تكوني هنا . إنني أصبر على أن تمنيني بالبقاء حتى أعود . »

وارتجف صوتها وسألت : « لماذا تصر على وعدي ؟ دوناجو كاستا تستطيع

أت تحتجزني في غرضي ؟

برزت الندوب جليلة في وجهه وهو يقول : س لا تكوني طفلة . كل ما أطلبه هو نقتلك لمدة أسبوع واحد فقط . هل يمكنك أن تمنحيني إياها على الأقل ؟ ؟

قالت مترددة : على الأقل ؟ ظننت أنني أعطيتك كل شيء طلبته مني ... إني أسفة .. كل شيء تراه يد يد قليلا في نظرك في الوقت الذي يعني عندي المزيد من الألم . إني أعاني من الشقاء وأنا بعيدة عن وطني وتأتي بي الى هنا الى بيت الأشباح والذكريات . هل تظن إني أمضيت يوما سعيدا هنا ؟ هل تظن إني أكثرت كثيرا في أن تقضي الى الآن أو بعد أسبوع بأن لعبة التأثير انتهت ؟ ؟

نهضت واقفة وراحت تجول طرفها في فلم فلم تأبه لقوته اذا ما قورنت بنحولة اقدامها فقال لها : أجل إن لعبة التأثير انتهت . هناك بعض الكلمات لم تقل بعد ولكن بحق الشيطان لن أخفوه بها الآن . لاأظن إني لآستطيع أن أقولها . وننحى جانبا فبدت صورته الجانبية مطبوعة على الضوء الأخضر باردة متكبرة لم قال : كم أود أن أجملك تفهمين بأن هذه الحالة هامة وغير هامة في الوقت نفسه وعلي أن أذهب لأنني وعدت بالذهاب ألا يمكنك أن تعديني ؟ ؟ قالت بيرود : لا ، لا ، يا مارك .

هر كتفيه العريضتين باستخفاف وقال : المكتوب هو المكتوب ! ! !  
حملت رافينا فيه وهو يغادر غرفة الجلوس وقد تجمدت كلماته المكتوب .. هو المكتوب على شفتيها وأحست بأن الرباط الضاعط للقفوف حول كاحلها قيودا تغل حركتها ، إن المكتوب هو المكتوب ولن نستطيع أن نفعل شيئا لتغيير مجرى الأحداث . ووقفت مكبلة بالكبرياء وتركته يذهب الى الفتاة الأخرى .

لانونا لابد أن تكون راودها الشك في حدوث صدمع في علاقة حفيدها بزوجه ، ولكنها لم تشر الى رحيله المفاجيء من المنزل عندما التقت بها في صالونها هذا المساء ، واتما تحدثت عن تلك الأيام التي أمضتها في الجزيرة ، وتفحصت رافينا يبصرها مليا وهي جالسة على السجادة بجوار المدفأة وقالت لها : يمكنك أن تعتري نفسك امرأة يوم تفهمين السردى . أنت تجلسين تماما كما جلست في تلك الليلة الأولى التي أتيت فيها . كنت طفلة

وراحت أطلع الى شعرك في ضوء النار وقتلت لنفسى : أه .. هذه الفتاة ذات الشعر الأحمر والعينين الخضراوين ستسبب في إثارة متاعب كثيرة .

قالت رافينا : كنت تريدن فتاة مطيعة سهلة الإنقياد !

قالت الجدة : أردت السعادة فقط لماركوس بعد طول الحزن وظننت أن الحزن سوف يقضي عليه أو يسقوده الى الجنون أخبرني يا رافينا متى تفضين له بوجود جنين في أمشاك ؟ نظرت رافينا إليها وودت أن تنكر ما حدثته لانونا ولكنها اصطدت بالأمينة الدقيقة التي تتراقص في عينيها فوجدت أنه من المحادثة الإيكار فقد رزت لانونا الكثير من هذه الدنيا وتشعر بما يشتمها مارك . تركت الدموع فجأة في عيني رافينا وقالت :  
وماذا يهم في الأمر ؟ كنت محقة منذ البداية يا لانونا قلت ان الانسان لابد أن يتزوج من قرينه وأنا راحلة .

قالت لانونا مصدومة : لا تستطيعين هناك طفل ، ربما يكون ابنا لماركوس .

لايهمني .. انني ماجئت الى هنا لألدم لمارك ما يريد مني دون أي إعتبار لمشاعري إن أحاسيسي لم تعد تعنيني فهو واقع في غرام فتاة أخرى . اقتربت لانونا من رافينا ولست دموعها التي انحدرت على وجهيتها وكأنها اعتادت أن تؤمن بما تشعر به . قالت :

« ماهذا الذي تقولي ؟ كيف تكون فتاة أخرى ؟ ماركوس تزوجك . »  
أطلقت رافينا ضحكة مريرة وقالت :  
« ولكنه يأسف الآن على هذا الزواج . زواجنا انتهى يا لانونا وأنا راحلة »  
قالت الجدة : « هنا بيتك ، كل أطفال ديكورزيو ولدوا في منزل السرد وهنا سيولد طفلك . »

قالت رافينا : سيولد طفلي في رافنهول .  
ووقفت على قدميها واستطردت تقول : « ألا تعلمين أن مارك يعضني هذه الليلة بصحبة امرأة أخرى ؟ إنها من بنات الجزيرة - لها شعر أسود مثل دوناتا ربما يجد لديها كل ما فقده . »  
« إنه لطفل ... كوني عاقلة . »

« كنت عاقلة أكثر من أي إنسان آخر ولكنني لآستطيع أن أنمسك بالتعقل تجاه علاقة مارك بالفتاة . »



ويدت لانونا فجأة امرأة عجوزا طاعنة فـ « السن بالغة الأعياء وقالت :

« لا توجد أية علاقة على الإطلاق . زوجك يا مقلتي ذهب للبحث عن  
ماركوكريسي . وهذا معناه الذهاب الى الجبل حيث يختفي قطاع الطرق .  
لم يرغب مارك في أن تعرفي بالأمر وإنما أفضى به الي وطلب مني أن أحفظ  
بالسر . إنهم رجال خارجون عن القانون وقد تولست له الفتاة أن يبحث لها  
عن فتاه . وقال إنه سيرك اذا استطاع أن يتبع ابن فيرتيويلا بالعودة الى أمه  
وسلك حياة شريفة . شيئا .. فشيئا .. أخذت الكلمات تخترق قلب رافينا  
وسألت : « لماذا لم يخبرني ؟ لماذا احتفظ بهذا السر ؟ » .

قالت الجدة : « ربما ظن أنك ستقلقين عليه ، أو ربما خشي ألا  
تسمحي له بالذهاب » .

وأخذت يدها تهتز وأومات لرافينا قائلة : « ألا تسكين لي كأسا من  
الشراب يا مقلتي ؟ أشعر أنني في حاجة اليه . ومن طلمة وجهك أرى أنه من  
المستحسن أن تشاركيني باحتساء كأس ! سوف يساعدك على النوم » .

وبعد مضي يومين سمعت طرقة على باب غرفة نومها فتحت ورأت رينزيو  
أمامها يحمل في يده رسالة لها وصلت لتوها وشاهدت طواريع انكليزية على  
ركن الظرف وبدا عليه خط رودري برنين في غير اتساق .

سألها رينزيو وعلى وجهه علامات قلق واضح :

« هل تريد سيدتي فتجانا من القهوة ؟ »

« أجل أحضر لي في غرفة الجلوس ، سأقرأ الرسالة هناك » .

وقفت في غرفة الجلوس فترة طويلة تحاول فض الرسالة ولكن أصابعها لم  
تطاولها على فتحها وكانت تخشى أن تحمل في طياتها أباء مينة ولكنها  
تخاملت أخيرا على نفسها وفتحت الرسالة بأصابع باهة متوردة . كتب رودري  
لها يخبرها بعودته الى استراليا وأقيم أباه بالذهاب معه وأنهما سيستقلان باخرة  
وأخبره الطيب بأن الرحلة البحرية سوف تفيد جاردري وحيث أن رافينا تزوجت  
واستقر بها المقام في سردينيا فلا يوجد أي مبرر للإبقاء على رافنهول فاعلنوا  
عن بيعه . جلست رافينا على مقعد لأنها شعرت بوهن يسري في أوصالها .  
إنها لاتصدق إن جاردري يبيع رافنهول وسوف يذهب مع رودري الى نيوسوتويلز  
إنه مكان بعيد يصعب عليها بلوغه وشعرت أن أقرب الناس هجروها .

وتذكرت طفلها ! قالت منذ ليال قليلة مضت أنه سيولد في رافنهول لكن

البيت الذي أمضت فيه طفولتها سيصبح ملكا لإنسان غريب عنها ، وأحس  
برغبة في البكاء فلم يعد هناك أي شيء يمكن أن تتعلق به لاجاردري ولا بيت  
ولا واحد يمكن أن تركز اليه ، وعندئذ سمعت أقدم تقرب منها وتقول :

« إن فتجانا من القهوة أفضل من لاشيء » .

وتطلعت يبصرها لتأخذ القنجان فوجدت انسانا طويلا يقف بالباب وقد بدا  
عليه الاجهاد وفي نظراته علامات الفضول فصرخت قائلة :

« مارك ! » .

فقال خيما : « ظننت أنك رحلت » .

قالت : « لانونا أخبرتني بسبب ذهابك الى الجبال لتقابل قطاع الطرق »  
عقد مابين حاجبيه وكسا التراب حذاءه ورأت موقا في قميصه .

قال : « لاتقول لي أنك كنت قلقة علي ؟ »

سألته وهي تمزق رسالة رودري قطعها صغيرة :

« هل وجدت ابن فيرتيويلا ؟ هل تحدثت معه ؟ » .

« أجل كان في حاجة الي من يقول له [ إنك فتى أحرق ] وإن أمه  
وفاته في انتظار عودته الى البيت ليحنأه جيهما هذا الحب شيء لا يستطيع  
أن يطلبه أو يستدنيه أو يهزله . إنني أسعده » .

ورفعت رافينا عينيها عن الرسالة الممزقة وتطلعت الى مارك وقالت :

« ألا من الفتاة التي تحبه ؟ »

« أجل بالرغم من الأذى الذي أصابها منه فإنها تحبه . أنت تمزقين هذه  
الرسالة يا رافينا » .

نظرت الى قطع الرسالة في دهشة وقالت : « أنها رسالة من رودري » .  
اتصّب مارك واقفا وقال : « رودري ؟ وتمزقين رسالته ؟ لماذا ؟ » .

« أنا .. أنا لم أنظر أبدا إنه سيذهب الى استراليا مرة ثانية ويصبح  
جاردري لقد باعوا رافينهول » .

« إذن لن يكون أمامك أي مكان تهربين اليه ؟ » .

« أوه مارك » .

ووضعت وجهها بين يديها لأنه لايشعر بما تشعر وتمنت ولكن تمنّت  
ماذا ؟ وسرت رعشة في أوصالها عندما خطا نحرها ولمست يدها كتيها .

سألها : « هل تريدان الذهاب الى استراليا ؟ »

شعرت بقره الى جوارها وأدركت تماما ماذا تريد. هزت أنفامه شعرها .

قال : « رافينا هل تريدن أن أحركك مني ؟ » .

تطلعت اليه وأدركت أنها لن تتحرر منه ولن تهرب من الحب اذا نضى القلب به . وفي هذه اللحظة شعرت أنها لا تستطيع أن تختار حريتها كما أنها لم تعد تقوى على العيش معه بدون حبه .

سأله : « هل ستدعني أرحل ؟ » .

« لن أرفضك الى البقاء . هذا اذا لم تكوني راغبة في ذلك » .

ولأول مرة رفع مارك يده ليغطي رجته المشوهة وقد بدت سحب الألم في عينيه واستطرد يقول :

« كيف لي أن أسألك أن تخيبي كيف لي أن أطمع في قدرتك على الاحتمال ؟ إنني لأملك حديقة ورود أقدمها لك . وكل ما أملكه منزل أشباح وذكريات » .

واستعد ليغادر الغرفة عندما استوعبت فجأة كل ما قاله لها فقفزت واقفة على قدميها وصرخت تنادي اسمه :

« مارك ... حبيبي ! » .

فوقف ساكنا تماما رأسه شامخ بالكبرياء ولم يستطع أن يلتفت ليتطلع اليها فأسرعت وشخصت ببصرها اليه وقالت بركة :

« إنني لأكره قبلاتك أو نديوك » .

واشرأبت بجسمها وجذبت رأسه اليها وكانت شفتاهما ناعمتين وهي تصعب قبلة على وجنتيه التي تكسوها الندوب وأردفت تقول :

« إن الحب زعمق من الندوب الغائرة يا مارك ! » .

سألهما والشك في نظراته : « كم يطول هذا الحب » .

أشارت بأصبعها الى المرق في قميصه وقالت :

« لأعلم وإنما كنت أشعر بأنني أحبك دائما » .

« كنت تكفين الكراهية لي » .

أسسك يدها وشعرت بنض قلبه وأردف يقول :

« أنت تزوجتي وأنت تعرفين بأنني لن أقوى على الحاق الأذى بصيقل الغالي رودري إنك توجهت لمقابلته يوم زواجنا » .

قائلته .. قائلة : « جاردي كان مريضا وكنت خائفة من نتيجة ما

سيحدث لو أن رودري أفضى له بحادث السيارة . كان رودري يريد أن يعترف لأبيه واستغرق الأمر مني فترة لكي يعدل عن إصراره على الإقرار بجريمته » .

« كان اعترفه سيحرك من أي إلزام نحوي ألم تولودك الرغبة في أن تكوني حرة ؟ » .

جذبها وهو يتحدث اليها فوضعت ذراعيها حول عنقه ونظرت الى عينيه وفي خجل ضغطت وجهها على صدره وقالت :

« لم أكن أعرف حقا ماذا أريد حبسك ولكنني الآن أعرف ماذا أريد . إنني أريد أن أسعدك يا مارك سعادة تفوق ما قدمت لك دوناتا » .

التفت يده حول وسطها فندت زفرة من فمه وقال :

« تزوجت دوناتا لأرضي أسرتي ولكنني تزوجتك لأرضي نفسي . كنت على استعداد لأن أزعج من الوجود أي إنسان يعترض طريقي . كنت أمثالك بدفع الثمن وقاد للطريقة التي فقدت بها إنني درستني ، أما الآن فلا أكاد أتصور أنك تقدمين لي حبك » .

وقفت رافينا على أطراف أصابع قدميها وهمست في أذنه بسر معين ، ومضى وقت طويل قبل أن يعود كل واحد منهما الى الحديث .

وسرعان ما غابت الظلال من منزل السرو وترددت ضحكات طفل في زرجائه وراحت رافينا ترقب بحب زوجها وهو يرفع الصبي الى كتفه وينظر اليها بعينين تتألقان حبا .

ولسان حالهما يردد « المكتوب ... هو المكتوب ! » .

\*\*\*

إرشادات

(١) الأسم الذي يطلق على الكولونيل كاروت برينين خلال الرواية .

(٢) السلتى : نسبة لأحد أفراد عرق هندي قطن قيما مضى أجزاء واسعة من أوروبا الغربية .

(٣) ساردونيك معناها منهكم .. وأرادت الكاتبة أن تبجد علاقة بينها وبين كلمة سارد أي من سكان سردينيا .